

منشورات
مؤسسة الشيخ مربيه ربه
لإحياء التراث والتبادل الثقافي



26



الشيخ ماء العينين

مفيد الراوي

على أني مخاوي

ومعه

المداوي للمعترض للفظة مخاوي

د. محمد الظريف

الطبعة الثانية
2008

منشورات
مؤسسة الشيخ مربيه ربه
لإحياء التراث والتبادل الثقافي
26

الشيخ ماء العينين

مفيد الراوي على أني مخاوي
ومعه
المداوي للمعترض للفظة مخاوي

تحقيق:
د. محمد الظريف

الطبعة الثانية

مفيد الراوي على أني مخاوي

ومعه

المداوي للمعترض للفظة مخاوي

الكتاب : مفيد الراوي على أني مخاوي

ومعه

المداوي للمعترض للفظة مخاوي

المؤلف : الشيخ ماء العينين

التحقيق : د. محمد الظريف

السحب : مطبعة المعارف الجديدة - الرباط

الطبعة الثانية : 2008

الإيداع القانوني : 2008/2049

ردمك : 3 – 06 – 477 - 9954

شكر وامتنان

نتوجه بالشكر إلى الذين ساهموا في إخراج هذا العمل بصفة خاصة وكل الذين يحرصون على بلورة هذا المشروع الثقافي الوحدوي بصفة عامة.

ونخص بالذكر:

- أستاذنا الدكتور عباس الجراري الذي فتح آفاق البحث في تراث الأقاليم الجنوبية ولم يتوقف عن دعمه وتشجيعه.

- الأستاذ محمد ماء العينين سيداتي الشيخ مامينا الذي أولى لهذا الكتاب عناية خاصة وبادر إلى طبعه بعد أن نفدت طبعته الأولى.

- الأستاذ عمر الشام الذي لم يتردد ـ رحمه الله - في تزويدنا بالنسخة المخطوطة من هذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الثانية

تسعد مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي بأن تقدم للقارئ العربي كتاب "مفيد الراوي على أني مخاوي " لمؤلفه الشيخ ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن مامين، في طبعته الثانية بعد نفاد الطبعة الأولى..

والدافع إلى طبع هذا العمل من جديد، فضلا عن نفاد الطبعة الأولى، يكمن في الأهمية والعناية اللتين لاقاهما هذا الكتاب لدى المهتمين بالتراث الإسلامي الأصيل وبتاريخ الحركات الإسلامية الإصلاحية في الغرب الإسلامي، وخاصة الصوفية منها، الداعية للاتحاد والمؤاخاة النابذة للبدع وظواهر التفرقة والفتن ومسبباتها، وذلك من خلال العديد من الدراسات والتحاليل والبحوث التي كان هذا المؤلَّف موضوعها في عدة ندوات ومحاضرات داخل المغرب و خارجه.

والدافع الثاني هو تلبية رغبات وطلبات العديد من الجهات، وخاصة من بلدان الخليج العربي، والمشرق بصفة عامة، التي اتصلت بالمؤسسة وألحت على إعادة طبع هذا الكتاب القيم، الذي يشرح ويبسط مبادئ ومنهاج الطريقة الفاضلية التي هي فرع من الطريقة القادرية وتتميز عن سواها من بقية الطرق الصوفية بالانفتاح على مختلف الطوائف والمجموعات التي تعتمد الكتاب والسنة مرجعا ومنهاجا، دون

تحجير أو تضييق أو تعنت مع الحرص على مؤاخاة جميع طرق أهل الله ووحدتهم كما هو موضح ومبين بين دفتي كتابنا هذا، الذي هو أول كتاب يتناول بإيجاز، ولكن بوضوح أيضا، أسلوب ومنهج الطريقة الفاضلية - نسبة إلى الشيخ محمد فاضل بن مامين الذي أسسها وأوضح نهجها أو الطريقة المعينية نسبة إلى الشيخ ماء العينين الذي نشرها في مختلف مناطق المغرب من وجدة إلى بني أنصار إلى فاس إلى سلا فالصويرة فمراكش فتيزنيت فالسمارة وغيرها... ثم بين منطلقها وحدد أهدافها وعلاقاتها بباقي الطرق والتوجهات الصوفية قولا وعملا مؤصلا وموثقا لها في هذا الكتاب المختصر المفيد.

إضافة إلى ما تقدم، تجدر الإشارة إلى عثور الأستاذ المحقق د. محمد الظريف على نسخة من الكتاب مطبوعة على الحجر بفاس، تحتوي على رد المؤلف على من انتقد عليه ورود كلمة "مخاوي" بدل كلمة "مؤاخي" في عنوان الكتاب. وقد وضع المؤلف لرده هذا عنوان "المداوي للمعترض للفظة مخاوي"، وأجاد في رده وأفاد وأعاد وبرهن على مدى اتساع باعه النحوي، ومدى تمكنه من ناصية الفصحى ومجامع مصادرها، وتآلف وتخالف مدلولاتها، وتسويغ مفاهيمها وصيغها، من جواز قلب اللغة وإبدالها وأصول اشتقاقاتها، إلى غير ذلك مما أوضحه في هذا الرد الذي يعتبر كتابا مستقلا في اللغة رغم صغر حجمه، ومع ذلك كان لا بد من إلحاقه بهذا العمل الذي كان وراء تأليفه، استكمالا للفائدة.

والدكتور محمد الظريف، وإن كان غنيا عن التعريف، أحاط هذا التأليف بعناية فائقة كما هو دأبه دائما مع الأعمال التي نشرت له، سواء التي ألفها أو التي حققها وتعهدها برعايته مثل العديد من دواوين أعلام الجنوب المغربي ومؤلفاتهم ومصنفاتهم، مساهمة منه ثمينة وفريدة في خدمة الثقافة العربية وعلومها التراثية الفقهية والدينية واللغوية في الغرب الإسلامي، وهو مسلك متميز حاز فيه -عن جدارة- قصب السبق.

كلمة أخيرة، لابد منها في هذه العجالة، عبارة عن تقدير مكتب وأعضاء المؤسسة للجهد الكبير الذي قامت وتقوم به مجموعة خيرة من الرجال البررة في بلدان الخليج من أجل التعريف ببلدهم وثقافته ورجالاته وما طبعوا وساهموا في طبعه من أعمال قيمة في تلك البلدان خدمة للإسلام وللثقافة العربية سيرا على نهج السلف الصالح، وفي طليعتهم الشيخ ماء العينين محمد بوي والأخوان محمد ماء العينين بن سيداتي بن الشيخ مامينا وماء العينين بن الشيخ السلامة بن الشيخ عبداتي.

والمؤسسة إذ تجدد تحيتها لهذه المجموعة لا يسعها إلا أن تعبر بفخر عن اعتزازها وتثمينها عاليا للجهد الطيب المحمود الذي بذلته وتبذله في تلك الربوع المشرقية.

الرباط في 7 رمضان 1429

8 شتنبر 2008

ماء العينين مربيه ربه

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الطبعة الأولى

تتشرف مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي بنشر عمل أحد أعلام الجهاد والعلم في الجناح الغربي من العالم الإسلامي، الشيخ ماء العينين، وهو يعالج ظاهرة الخلاف والشقاق بين الطرق الصوفية بالمغرب.

كان ذلك في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، تزامنا مع بداية التكالب الاستعماري وإجهازه على البوابة الغربية لدار الإسلام.

فلم يكن الشيخ ماء العينين في صباه، أثناء تربيته وتعلمه في كنف والده الشيخ محمد فاضل بن مامين، يرى عيبا أو منكرا في تعدد الأدعية وتنوع الأوراد والعبادات التي تقوم عليها الطرق الصوفية، مادام مصدرها الكتاب والسنة، وغايتها التعبد و التقرب إلى الخالق البارئ، لأن والده وشيخه لم يكن يفرق بين الطرق الصوفية كما لم يكن ليحكم بتفضيل ورد طريقة صوفية على ورد غيرها مادامت كلها طرق تؤدي إلى مرضاة الله عز وجل.

وقد أوضح شيخنا ذلك في العديد من مؤلفاته مثل "إظهار الطريق المشتهر على اسمع ولا تغترر"، وهو شرح لقصيدة مطلعها:

اسمع ولا تغترر وما أقول فع : إن الطريق إلى الإله بالورع

وكذلك "مفيد الحاضرة والبادية" و "فاتق الرتق" و "منتخب التصوف" وغيرها، إلا أن شيخنا أثناء زياراته العديدة لحواضر المغرب الكبرى كمراكش و مكناس وفاس وغيرها، حز في نفسه ما رأى وسمع من اختلاف وتناحر الطرق الصوفية في كبريات المدن المغربية، فضلا عن امتداد هذا الخلاف واشتداد حدته في البوادي والمداشر الأخرى، الشيء الذي أثخن جسم المجتمع المغربي تمزيقا وتشتيتا وفرقة، وجعله لقمة سائغة للأعداء المتربصين به، وما أكثرهم في ذلك العهد، لولا لطف الله به إلى حين.

وكما جاء في كتاب "مفيد الراوي على أني مخاوي" قول الحكيم لأبنائه وهو في حالة احتضار: إنكم لن تغلبوا إذا اجتمعتم، فإذا تفرقتم، تمكنِ منكم عدوكم فأهلككم؛ كذلك قال الشيخ ماء العينين: «إن القائمين بالدين، إذا اجتمعوا على إقامته، ولم يتفرقوا فيه، لم يقهرهم عدو... »

ولذلك كان كتابه هذا دعوة لتوحيد صف المسلمين، ونداء لنبذ الخلافات والنزاعات وترك الادعاءات التي لا سند لها في الكتاب والسنة، عملا بقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ وبقول الرسول عليه السلام: «المسلم أخو المسلم... »، ولما تدعو إليه التعاليم الإسلامية القائمة على التوحيد والمؤاخاة، حتى يستطيع المسلمون الصمود في وجه الأعداء المحدقين بهم وببلادهم.

وقد مهد الأستاذ المحقق، الدكتور محمد الظريف، لهذا العمل بمقدمة هامة، كما هي عادته، لإبراز السياق التاريخي والاجتماعي والعلمي لهذا الكتاب متتبعا تطور الحركة الصوفية في المغرب منذ

القرن السابع الهجري، وتحولها من سلوك فردي للنسك والعبادة، إلى قطاع منظم له خصوصياته وطقوسه، إلى مؤسسات رسمية لها قواعدها وضوابطها ونفوذها في صنع القرار السياسي وتوجيه الرأي العام، مبرزا الوتيرة السريعة لتشعب الطرق الصوفية وما نجم عن ذلك من انحرافات وضلالات أحيانا، تصدى لها العلماء والفقهاء بمحاربتها والحد من انتشارها ودرء مخاطرها – في حالات استفحالها – عن المجتمع، مستشهدا على ذلك بأعمال ومواقف العديد من العلماء والفقهاء المصلحين على مر الحقب، ليضع النص بعد ذلك في سياقه الطبيعي مع التحقيق الدقيق والتمحيص؛ فجاء جلي المعاني، سهل المأخذ، قريبا للفهم واستجلاء الأبعاد.

والدكتور محمد الظريف ليس غريبا على هذا الميدان ولا حديث عهد به، فأطروحته لنيل دكتوراه الدولة "الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء" تدخل في صميم الموضوع، والشيء ذاته ينطبق على كتابه "الحياة الأدبية في الزاوية المعينية". كما أن تحقيقه لرحلة ماء العينين بن العتيق وديوانه، وجمع وتحقيق "ديوان الشيخ أحمد الهيبة" وديوان البيضاوي الشنقيطي وتحقيق كتاب "مزيلة النكد عمن لا يحب الحسد" ومساهماته في أعمال وندوات ثقافية وفكرية متعددة إلى جانب محاضراته وبحوثه ومقالاته المتنوعة، كل ذلك جعل منه ذلك الرجل المثقف الذكي المحنك المتواضع، فلا غرابة إذا في أن يكون، بهذا الرصيد الحافل، وبما حباه الله به من ثقافة واسعة وسمو أخلاق ورجحان عقل، من ألمع المتخصصين في الثقافة المغربية بمفهومها الواسع.

وقد اضطلع بدور كبير حازم وحاسم في إطار مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي منذ تأسيسها في شهر يونيو 1997 حتى الآن.

نسأل الله تعالى أن يجازيه أحسن جزاء ويوفقه في كل خطوة يخطوها وعمل يعمله.

وإذ نهنئه ونهنئ أنفسنا والمكتبة الوطنية بهذا العمل العلمي الجديد، نتمنى له من كل قلوبنا مزيدا من التألق والعطاء. والله ولي التوفيق.

الرباط في 5 ذي الحجة 1419 هـ

موافق 24 مارس 1999م

ماء العينين مربيه ربه

تمهيد الطبعة الأولى

هذا كتاب "مفيد الراوي على أني مخاوي" للشيخ ماء العينين، ألفه قبل عشرين ومائة سنة في شرح منظومته الصوفية "إني مخاوي لجميع الطرق" بطلب من بعض أحبته الصادقين الذين ألحوا عليه في بيانها وإيضاح مكنون أسرارها، وسبب إنشائه لهذه المنظومة التي لا تتجاوز عشرين بيتا، أنه لما زار السلطان مولاي الحسن الاول سنة 1304 بمراكش، وجد بعض المريدين وأهل الطرق الصوفية ممن ليست لهم خبرة بالتصوف ومعرفة أسراره يتعجبون من عدم تفريقه بين الطرق الصوفية وإعطائه أوراد الشاذلية والقادرية والتيجانية وغيرها دون تمييز، كما أقلقه ما وجد الناس عليه من تفرق واختلاف، فبادر إلى توضيح المعنى الحقيقي للتصوف، وإزالة كل ما يمكن أن يشوش على المريدين من وساوس وشكوك حول وحدة الطرق الصوفية، وعدم اختلافها في المنطلقات والمقاصد.

وقد استند الشيخ ماء العينين في ذلك بالإضافة إلى ما فصلت الشريعة الإسلامية في بيانه من مبادئ وحدوية، إلى الرصيد الطرقي للفاضلية والأسس الوحدوية التي تنبني عليها.

فلم يكن الشيخ محمد فاضل بن مامين، والد المؤلف وشيخه في التربية الصوفية – كما جاء في مقدمة هذا الكتاب – يفرق بين الطرق الصوفية، أو يفضل وردا على آخر، بل قصارى خبره في ذلك أن يقول: "هذا

الورد من الأوراد التي كان فلان ملازما لها، من غير أن يقول لا ورد له غيره، أو لم يعط غيره، أو من أخذه لا يأخذ غيره"[1].

وتبرز قيمة هذا الكتاب في عدة أمور منها:

1 – مكانة المؤلف العلمية والدينية والوطنية، فمؤلفه الشيخ ماء العينين، يعتبر من أعلام المغرب البارزين في العلم والجهاد والتربية، والإخلاص في حب الوطن وحماية مقدساته، وقد طبقت شهرته الآفاق، وجرت بأخباره الركبان، وعرفه الخاص والعام؛ لذلك لا حاجة إلى التعريف به في هذا التقديم المركز، ثم لأنه معروف، والمعرف لا يحتاج إلى تعريف، كما قيل في جواب من سأل عن نسب الشيخ ماء العينين وأخباره في "**رحلة**" ماء العينين بن العتيق الحجازية[2]؛ فمؤلفاته وجهاده وصلاحه واستخلاف ملوك الدولة العلوية له في النظر في شؤون الصحراء، شاهدة على مكانته وعلو قدره.

2- أهمية الموضوع الذي يعالجه، فهو يتناول موضوعا مهما قلما صنف فيه المصنفون، هو موضوع وحدة الطرق الصوفية بصفة خاصة والشريعة الإسلامية بصفة عامة.

فليس في ظاهر الشريعة مذهب أولى من مذهب – كما جاء في هذا الكتاب-، ولكنها جاءت عامة للمسلمين، ليس فيها تعارض أو خلاف. ومن خاف تعارضها " فليرجعها إلى مرتبتين، عزيمة ورخصة، تخفيف وتشديد، ولكل من المرتبتين رجال، فمن قوي إيمانه وجسمه خوطب

---

[1] مفيد الراوي على أني مخاوي، و. 1 "أ".
[2] الرحلة المعينية ، ماء العينين بن العتيق، تحقيق محمد الظريف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1998 منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه، ص 269 .

بالعزيمة والتشدد، ومن ضعف منهم من حيث مرتبة إيمانه خوطب بالرخصة والتخفيف"[1].

كذلك الأمر بالنسبة للحقيقة، فليس فيها طريقة أولى من طريقة، أو شيخ أفضل من شيخ أو ذكر أحسن من ذكر، ولكنها جاءت من حيث أصولها ومقاصدها واحدة، وإنما يعود ما يبدو من خلاف فيها إلى اجتهاد المربين وطريقة كل واحد منهم في التربية، واختلاف نفوس المريدين وتعدد مستوياتهم ومراتبهم في السير والسلوك، "فقد عمل كل واحد من الأشياخ على ما اقتضاه رأيه، وما سنح له مما يليق بمن تبعه، وربما أعطى الواحد منهم للمريد أولا قليلا من الأوراد، ثم بعد ذلك يصير يزيده شيئا فشيئا حتى يعطيه أكثر كثير بحسب قوته، ولم يبلغنا أن أحدا منهم قال لمريده خذ هذا الذكر أو هذا العدد ولا تزد عليه غيره من العبادات، بل كانوا يأمرونهم بكثرة ذكر الله وكثرة نوافل الخير حتى يكون الحق سمع الشخص وبصره"[2].

ومن ادعى تخصيص الشريعة والحقيقة، فقد أتى بابا من الكبائر[3].

3 – اهتمام الأدباء و العلماء بهذا الكتاب وإشادتهم بفضله وقيمته التربوية والإصلاحية، فقد حظي هذا الكتاب زمان تأليفه باهتمام كبير من طرف العلماء، فطبع على الحجر بفاس مرتين، الأولى في عهد السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1310هـ بتصحيح العلامة سيدي المهدي

---

[1] مفيد الراوي ، و 8.
[2] المصدر نفسه و 7 (أ) ودليل الرفاق على شمس الاتفاق، ص. 3 ، تحقيق أحمد يكن البلعمشي.
[3] المصدر نفسه، و 7 (أ)

الوزاني، والثانية في عهد السلطان مولاي عبد العزيز سنة 1317هـ بعناية الشيخ أحمد ابن الشمس ومراجعة العلامة أحمد البوعزاوي؛ كما قرظه مجموعة من الأدباء، منهم عبد الله بن محمد بن أحمد الأديب، مقدم زاوية الشيخ ماء العينين بمراكش وأحمد بن عبد المولى اليملاحي، وغيرهما. يقول ابن الأديب[1]:

ذا مفيد الراوي أتانا مخاو   لطريق الهدى جميعا وحاوى
أودع الشيخ فيه حسن فتاو   وقديم للشيخ حسن الفتاوي
وجد الدين لا إليه التفات   صار يسعى كل إليه ويأوي
كان مبنى على ابتداع اختلاف   صار مبنى على اقتفاء المساوي

لهذه الاعتبارات وغيرها بادرنا إلى تحقيق هذا الكتاب وإخراجه ضمن منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي ليساهم كغيره من الأعمال التراثية التي تم نشرها في هذا الإطار وغيره في إحياء ذاكرتنا الثقافية والاستفادة مما تختزنه من إشراقات، والله من وراء القصد.

محمد الظريف

[1] الأبحر المعينية في الأمداح المعينية، الشيخ محمد الغيث النعمة، ج 1، ص : 204، تحقيق أحمد مفدي، نسخة مرقونة، كلية الآداب فاس.

مقدمـة الطبعة الأولى

يتناول هذا الكتاب ظاهرة متميزة في تاريخ المجتمع المغربي، هي ظاهرة الطرقية، وهي ظاهرة طبعت الحياة المغربية بطابع خاص، ولا تزال آثارها بادية في الكثير من الممارسات والعادات والتقاليد المغربية.

فمنذ بداية القرن الرابع عشر الميلادي، وحتى بداية تشكل الوعي السياسي الجديد في المغرب، وبعد أن تحول التصوف المغربي من منهج سلوكي فردي في التزام العبادة إلى قطاع منظم له طقوسه الخاصة وتقاليده الثابتة، لم تتوقف الطرق الصوفية عن التوالد والانتشار حتى عمت سائر الأوساط المغربية، فصارت مؤسسات رسمية لها هياكلها التنظيمية وبرامجها وأتباعها في كل مكان، وصارت تتحكم في صنع القرارات السياسية وتوجيه الرأي العام المغربي.

وقد ساهم الكثير من هذه المؤسسات وخاصة الطرق الصوفية السنية بدور فعال في بناء الشخصية المغربية وتشكيل ملامحها الأساسية، فعملت على نشر الوعي الصحيح بين المغاربة وتعميق معرفتهم بأصول الإسلام ومبادئه، ومحاربة مظاهر الزيغ والانحراف التي كانت تظهر بين الفينة والأخرى في بعض الفترات الحرجة من تاريخ المغرب، ولم تتوقف عن حفظ التوازن داخل المجتمع المغربي والقضاء على كل مظاهر التمزق التي كانت تهدد وحدته وتماسكه، كما نهضت بحركة الجهاد وصيانة وحدة المغرب وسيادته، وخاصة في

فترات غياب السلطة المركزية أو عند ضعفها أو عجزها عن حماية الأطراف النائية، أو تغلب العدو على الجيوش النظامية المغربية، غير أن تأثير هذه المؤسسات لم يكن دائما إيجابيا، ولكن الكثير منها وخاصة الطرق التي ابتدعها بعض المنتسبين للتصوف أو بعض الذين ارتموا في أحضان المستعمر من الصوفية – أساءت إلى الطرقية بصفة خاصة وإلى المجتمع المغربي بصفة عامة، وذلك بما كانت تنشره داخل الأوساط الشعبية من سموم فكرية وقيم أخلاقية منحطة، من تواكل وخنوع ودروشة، وغيرها.

وقد تصدى علماء المغرب من فقهاء وصوفية لهذه الطرق المضلة ولم يتوقفوا عن محاربتها وكشف خباياها وأسرارها وتنبيه الناس إلى مخاطرها ورزاياها، وألفوا في ذلك مجموعة من الكتب والرسائل تبين التصوف الصحيح و الطرقية السليمة، مثل " **عدة المريد الصادق من أسباب المقت وبيان الطريق القصد وذكر حوادث الوقت**"، للشيخ زروق الفاسي، و "**النصيحة الغياثية**" لأبي الحسن اليوسي، و "**مطية المجد**" و "**سيف المجادل**" و "**سيف السكت**" للشيخ محمد فاضل، وغيرها.

ففي القرن السابع الهجري نهض أبو الحسن الشاذلي لمواجهة الانحرافات التي أصابت التصوف في زمانه، "فثار على المعنى السطحي للتقشف والزهد وكثرة الوظائف"[1] وتعدد واختلاف الأوراد بين الطوائف ودعا إلى تصوف سني نابع من الإسلام، بعيد عن الغلو

---

[1] إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 19/18، عبد المجيد الصغير، منشورات دار الآفاق الجديدة المغرب 1988، ص : 36 .

والتفريط، فأعاد بهذه الثورة للتصوف صفاءه، وعاد به إلى منابعه الأولى بعد أن كادت تشله قيود التحجر والجمود؛ فقد سأله أحدهم قائلا:" يا سيدي وظف لي وظائف أقوم لها، فأجابه مستغربا ومستنكرا: أرسول أنا؟ الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة، فكن للفرائض حافظا، وللمعاصي رافضا تكون متصوفا صالحا"[1]، و "دخل عليه يوما فقير عليه ملابس شعر، دليلا على تقشفه وزهده، فقال له الرجل بعد أن تمسك بملابسه الجميلة: يا سيدي، ما عبد الله بهذا اللباس الذي عليك، فأمسك الشاذلي بملابس الصوفي فوجدها خشنة فقال له: ولا عبد الله بهذا اللباس، الذي عليكم، لباسي يقول للناس أنا غني عنكم فلا تعطوني، ولباسك يقول إنني فقير إليكم فأعطوني"[2].

وفي القرن التاسع الهجري انبرى الشيخ زروق إلى فضح الطرقيين المنتشرين في وقته وكشف الأباطيل التي ابتدعوها باسم التصوف، ودعا إلى إحياء الشاذلية والعودة بالتصوف إلى منابعه الأصلية؛ و مما ينسب إليه في وصفهم قوله: "تتبعت الطرق الموجودة بأيدي الناس في هذه الأزمنة، فلم أجد لأهلها فتحا ولا نورا ولا حقيقة ولا علما ولا ذوقا، ولا فهما، بل ولا لذة نفسانية غير لذة الرياسة والامتياز بالاختصاص، فاحذر هذا الطريق فإن أكثر الخوارج منه"[3].

وفي القرن الحادي عشر الهجري تصدى أبو الحسن اليوسي لما كان يبثه بعض المتصوفة من خرافات وأكاذيب بين العامة، ودعا إلى

---

[1] المرجع نفسه ، ص. 36.
[2] أبو الحسن الشاذلي، على عمار سالم، مطبعة التأليف، مصر 1951 . ص. 122،
[3] قواعد التصوف، أبو العباس أحمد زروق ، دار الجيل ، بيروت 1992 ، ص : 152

إصلاح التصوف وتطهيره مما لحق به من انتحالية وتحريف، وقد تميزت آراؤه ومواقفه في ذلك بالوضوح والجرأة والصرامة، ومما ينسب إليه في ذلك قوله في انتقاد بعض المتمشيخين الذين حولوا المشيخة من تكليف تربوي روحي يعتمد الكتاب والسنة إلى إرث سلالي يعتمد البركة والترهيب والتدجيل: "فما شئت أن تلقى جاهلا مسرفا على نفسه لم يعرف بعد ظاهر الشريعة، فضلا عن أن يعمل به، فضلا عن أن يخلص إلى الباطن، فضلا عن أن يكون صاحب حال، فضلا عن أن يكون صاحب مقام، إلا وجدته يصول ويقول وينابذ المعقول والمنقول، وأكثر ذلك في أبناء الفقراء، يريد الواحد منهم أن يتحلى بحلية أبيه، ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة، بل لمجرد حطام الدنيا، فيقول خدام أبي وزريبة أبي، ويضرب عليهم المغرم كمغرم السلطان، ولا يقبل أن يحبوا أحدا في الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره، وإذا رأى من يخرج يطلب دينه أو من يدله على الله تعالى يغضب عليه ويتوعده بالهلاك في نفسه وماله، وقد يقع له عليه شيء من المصائب بحكم القضاء والابتلاء، فيضيفه إلى نفسه، فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالا(...) وهذا هو الضلال المبين، وهؤلاء قطاع العباد عن الله تعالى و عن دينه"[1].

وقد ساهم الشيخ ماء العينين بدور كبير في هذا المجال، وذلك لما قامت عليه حركته من أسس إصلاحية، ولما وجد عليه الطرقية في مغرب القرن الثالث عشر الهجري من انحلال وفساد؛ فبعد استيطانه بلاد تيرس والساقية الحمراء، وخلال رحلاته المتواصلة بين الحوض

[1] المحاضرات ، اليوسي، منشورات دار المغرب، الرباط 1976، ص : 107-108.

وتجكانت في تيندوف و بين طرفاية والصويرة وأسفي ومراكش والرباط وسلا ومكناس وطنجة لتجديد البيعة لملوك الدولة العلوية واطلاعهم على أحوال الصحراء، أقلقه ما وجد عليه الطرق الصوفية من تناحر واختلاف، وما كان يبثه بعض المتشبهين بالعلماء من روح تواكلية واعتقادات خرافية، وما كان يسببه ذلك للأمة من وهن وضعف؛ فقد وجد "الناس كأنها – أعوذ بالله – أهل ملل متفرقة وأهل طرق مختلفة"[1]، وألفى "الدين غريبا لا يعرف، والسنة مهجورة، وأركانها مهيضة مكسورة.. والبدع فاشية شائعة، والهوى متبوعا، وذكر الله غير مسموع"[2]؛ وكان العلماء وشيوخ الطرق الصوفية أولى الناس بإصلاح هذا الفساد وتغيير هذه المناكر، باعتبارهم ورثة الأنبياء وحماة الدين، غير أنهم كانوا منشغلين عن كل ذلك، يتهافتون على جمع الأموال، ويدبرون لبعضهم المكائد والمؤامرات، فأهملت طريق العلم وبارت سوقه، حتى تخيل من تشبه بالعلماء عالما، ومن تسمى بالفقيه فقيها حاكما(...) يقرأ الإنسان مسألتين إلى باب مسح الخفين ثم يلبس عمامة ثمينة ويضم على عصاه يمينه، ويقبل على هذه الدنيا المهينة، فيعمل باكتسابه حيلة، يضم من أخراه عمله، يفتي بالجهالة، ويحكم بالرذالة، ويظن أنه فاز بالسلامة واستوجب الكرامة"[3].

فعقد العزم على المساهمة في الإصلاح بما يفرضه واجب الدين ومسؤولية الانتماء إلى الوطن، فأسس زاويته بالسمارة، وفتح لها فروعا

---

[1] مفيد الراوي على أني مخاوي ، ورقة 2 (أ).

[2] سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان، ماء العينين بن العتيق، ورقة 94، مخطوطة خاصة.

[3] مفيد الحاضرة والبادية، الشيخ ماء العينين، ص: 22 طبعة حجرية

في مختلف الحواضر المغربية، وانطلق منها لتنفيذ برنامجه الإصلاحي.

وقد ركز في هذا البرنامج عل ثلاثة جوانب، وهي:

1 – توحيد الطرق الصوفية: فقد جند نفسه للقضاء على كل أسباب الخلاف التي كانت تمزق الطرق والطوائف الصوفية وتعرقل ائتلافها، ودعا إلى توحيدها والمؤاخاة بينها، لأن "الطرق وإن تعددت واختلفت، فمرجعها كلها لأمر واحد هو الفناء في مشاهدة الله والنظر إليه عن كل ما سواه"[1]؛ يقول:

إني مخـاو لجميـع الطـرق	أخوة الإيمان عـنـد المتقـي
ولا أفـرق للأولـيــــاء	كمـن يـفـرق للأنـبـيـاء
قال تعالى: المومنون إخــوة	وعـدم التفريـق فيـه أسـوة
لأفضل الخلق بعكس التفريق	ففيه أسـوة لـكـل زنـديـق
من اليهود والنصارى لعنـوا	عند الذي بربه قد يـومـن[2]

2- توحيد الجنوب المغربي: فبعد استقراره بالمنطقة الشمالية من الصحراء أزعجه ما وجد عليه قبائلها من تمزق واختلاف، وما يهدد أمنها من أخطار، فوجه جهوده الأولى نحو إعادة بنائها وتوفير الأمن والطمأنينة لأهلها، "فبنى فيها الدور وغرس النخيل"[3]، وعمرها بالمحطات الأمنية والمراكز الحضارية، فساد بها الأمن والاستقرار واستعادت دورها التاريخي في الربط بين شمال المغرب وجنوبه[4]؛ وقد

---

[1] نعت البدايات وتوصيف النهايات، ص: 11.

[2] مفيد الراوي على إني مخاوي و/11 ظ.

[3] الوسيط في تراجم أدباء شنجيط، أحمد بن الأمين الشنجيطي، ص: 439

[4] .الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية، ص: 135 ، محمد الظريف.

اعتمد في هذا الجانب على عدة وسائل تنسجم في مقاصدها العامة مع الاختيارات الصوفية لزاويته والمبادئ الوحدوية التي تنبني عليها.

فلم ينخرط فيما كان يمزق هذه المنطقة من صراعات هامشية، ولم ينسق مع ما كان يخنق أنفاسها من قيم وأعراف بالية، ولكنه تمسك بحدود الشرع، وحارب العادات والأعراف القبلية، ودعا إلى بناء العلاقات الاجتماعية على أسس جديدة تقوم على المؤاخاة بين جميع القبائل والمساواة بين مختلف الفئات كيفما كانت وظيفتها ومستواها الاجتماعي؛ وقد اتبع في ذلك سياسة حكيمة أثارت إعجاب كثير من المؤرخين، فأشادوا بها ونوهوا بفعاليتها؛ وصاهر الكثير من القبائل الصحراوية، ودعا أتباعه إلى الاختلاط بها والانصهار فيها، فتزوج من العروسيين وتجكانت وآل محمد سالم، وغيرها، فصارت كلها سندا له وقوة اجتماعية لحركته[1].

و لما تبين رسوخ الأعراف والقيم العشائرية في هذه المنطقة، وتحكمها في حياة أبنائها، وتأكد من صعوبة القضاء عليها بالحكمة والموعظة الحسنة، نهض لمحاربتها عمليا، فدعا أتباعه إلى مقاطعة القبائل المعتدية وعدم التعامل معها، فكان ذلك سببا في تطمين النفوس وفتح آفاق أوسع للإخاء والتعاون بين القبائل؛ ففي سنة 1321هـ/ 1903م، أغار أبناء غيلان على الرقيبات إغارة شنيعة، ولم يتركوا لهم شيئا، وكان من عوائدهم أن من نهب منهم مال الآخر، ولم يتبعه حتى ينزعه منه يصير ملكا للناهب، يتصرف فيه كيف يشاء، ولا يقدر الآخر

---

[1] انظر في هذا الشأن كتاب الفواكه للشيخ النعمة، ورقة 9، نسخة مخطوطة، الخزانة العامة، الرباط.

أن يتكلم في ذلك، يشتريه أخوه وأبوه وغيرهما من الناهب أو يهبه، فلحقته الشفقة عليهم، وقال لأتباعه: إن كل من اشترى شيئا من مالهم أو وهب له، يرده لهم إعانة لهم، فكان ذلك سياسة عظيمة في ذلك الوقت"[1].

ولم ينحصر مشروع الشيخ ماء العينين الاجتماعي الوحدوي داخل الصحراء،.ولكنه امتد إلى كثير من المناطق المغربية، وخاصة المناطق الجنوبية، فبعد انتقاله من السمارة إلى تزنيت لأسباب استراتيجية، استقطبت حركته سائر القبائل السوسية والحوزية فتوافدت عليه من كل ناحية، ووضعت نفسها رهن إشارته، وتناست خلافاتها، فأعطت لحركته قوة جديدة أرهبت القوات الاستعمارية التي كانت تتربص بالمغرب وتعد العدة للانقضاض عليه[2].

3 – مواجهة الأطماع الأجنبية: ما كاد الشيخ ماء العينين ينتهي من توحيد قبائل المغرب في الجنوب حتى انطلق لتنفيذ المرحلة الثانية من مشروعه الصوفي، فقاد أتباعه مجموعة من العمليات الجهادية ضد القوات الأجنبية، مثل الهجوم على حصن ماكنزي بطرفاية وتخريبه وإرغام الإنجليز على التخلي عنه للحكومة المغربية، وتخريب المنشآت التي أقامها الإسبان في الداخلة سنة 1885، والهجوم على القوات الفرنسية في شنقيط والقضاء على الكثير من الرواد الأجانب مثل كوبولاني (Coppoloni) وكيروڭا (Quiroga) وسرفرا (Cervera) ، وغيرهم.

---

[1] الفواكه، الشيخ النعمة، ورقة 4 و .

[2] انظر : الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء، ص. 135-140.

وقد تمكن عن طريق هذه الإصلاحات من تجديد التصوف وتطهيره مما أصابه في العصور المتأخرة من تحجر وجمود وسلبية، فاستعاد فعاليته من جديد في صورة أكثر حيوية وإشراقا وتخلى عما ألحقه به بعض الطرقيين من انعزالية وتواكل وتخاذل[1].

وقد بسط الشيخ ماء العينين آراءه الإصلاحية فيما ألفه من كتب وحرره من رسائل، مثل "دليل الرفاق على شمس الاتفاق"، و"إظهار الطريق المشتهر على اسمع ولا تغترر"، و "مبصر المتشوف على منتخب التصوف"، و "هداية من حارا في أمر النصارى" وغيرها؛ وقد لخص هذه الآراء في كتابه "مفيد الراوي على أني مخاوي" موضوع هذا التقديم.

ويستند في هذه المبادئ الإصلاحية التي أقام عليها حركته. كما جاء في هذا الكتاب إلى عدة اعتبارات، منها:

1- **وحدوية الإسلام:** فالشريعة الإسلامية تقوم في أساسها على التوحيد، وتدعو في مبادئها العامة إلى الأخوة، والأخوة تقتضي المحبة، والمحبة والأخوة سبب التآلف، والتآلف سبب القوة، والقوة سبب التقوى، والتقوى حصن منيع وركن شديد، بها يمنع الضيم، وتنال الرغائب، وتنجح المقاصد[2].

2- ميل الطبيعة البشرية إلى الائتلاف ونفورها من الاختلاف

"فقد خلق الله تعالى الأرواح من عالم الملكوت، والأشباح من

---

[1] الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية، ص. 138.
[2] نعت البدايات وتوصيف النهايات، الشيخ ماء العينين، ص : 33.

عالم الملك، ونفخ فيها تلك الروح، أي أرواح الاتحاد والائتلاف، وجعل بينها النفس الأمارة التي ليست من قبيل الأرواح، ولا من قبيل الأشباح، وجعلها مخالفة للأرواح ومساكنها، أي الأشباح، فأرسل عليها جند العقل ليدفع بها شرها، وهي العقول المجردة الأخروية، و إلا فالعقول الغريزية والدنيوية لا تقدر على الدفع، بل هي معينة للنفس، فإذا امتحن الله عباده المومنين هيج نفوسهم الأمارة ليظهر حقائق درجاتهم من الإيمان والأخوة، وأمرهم أن يعينوا العقل والروح والقلب على النفس حتى تنهزم، لأن المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا، فهم كنفس واحدة، ولأن مصادرهم مصدر واحد هو آدم عليه السلام"[1].

فالاتحاد – حسب هذا التصور – جوهر متأصل في الذات البشرية، منحه الله لآدم عليه السلام، وأورثه ذريته الصالحة التي غلبت عقولها المجردة الأخروية النورانية على عقولها الغريزية الدنيوية، أما التفرقة، فهي عنصر خسيس في الطبيعة البشرية، "لأنها لا تكون إلا من النفس الأمارة، أما الروح فلا ينظر في التفرقة أصلا"[2].

3 – **وحدة الطرق الصوفية في المبدإ والمنتهي:** فجميع الطرق تتصل في سندها الصوفي بالرسول صلى الله عليه وسلم، وتسعى إلى غاية واحدة هي "الفناء في مشاهدة الله والنظر إليه عن كل ما سواه"[3]. ومن يدعي غير ذلك من أهل التصوف فهو مفتر عاص، لأن الولاية لا تكون إلا بالطاعة، و "الطاعة لا تكون إلا بأتباع النبي صلى الله عليه

---

[1] مفيد الراوي على أني مخاوي، و 3 (أ).
[2] مفيد الراوي، و 4 (أ).
[3] نعت البدايات ، ص: 11.

وسلم في أقواله وأفعاله، ولأن الولي من والى الطاعات ولم يخللها بمعصية"[1]؛ وهذا الأمر يعلمه أغبى الأغبياء، وأحرى العلماء، ومن لم يكن متمكنا من تذوق ذلك يستغربه ولا يستعذبه؛ أما المتمكنون من شهود النبي صلى الله عليه وسلم، واتحاد طريقته، فإنه لا يستغربه بل يستعذبه.[2]

4- **وحدوية الفاضلية**[3]: لم ينسب إلى هذه الطائفة الصوفية القادرية التي ينتسب إليها الشيخ ماء العينين والتي يستوحي منها آراءه ومواقفه الوحدوية، أي تعصب مذهبي أو تحجر طرقي، ولم يشع عنها أي عداء لغيرها من الطوائف السابقة عنها أو المعاصرة لها، بل تميزت بالتسامح والمرونة الصوفية، فكان مؤسسها الشيخ محمد فاضل يعترف بفضل جميع الطرق الصوفية ولا يفرض على أتباعه لزوم نوع واحد من الطاعات أو العبادات أو الأذكار وترك ما عداه، أو بالذكر على كيفية معلومة وصيغة معروفة يمتاز بها أتباعه من غيرهم، بل يأمرهم بما أمرهم الله ورسوله به من أنواع الطاعات جميعا، ويحثهم عليها بحسب استطاعتهم وإدامة ذكر الله تعالى كيفما لاق لهم، والإكثار به بالقلب واللسان بإخلاص[4].

وتستند الفاضلية في ذلك إلى عدة اعتبارات منها:

1 –اتفاق أوراد جميع الطرق، فمهما اختلفت صيغ الذكر بين الصوفية في الكيفية والعدد والجهر والسر، فهي تسعى إلى غاية واحدة،

---

[1] مفيد الراوي ، و 5 .
[2] المصدر نفسه ، و 11 .
[3] - أنظر : الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء، ص. 122 – 123 – 124- 125 وما بعدها.
[4] المرجع نفسه، ص 126.

هي إخراج الإنسان من دائرة حسه وتحقيق أنسه بربه.

2 – اختلاف النفوس في طبائعها وميولها ووسائل تربيتها وترويضها، فهي – كما يصورها أحد الفاضليين – أشبه "بالمعادن السبعة المطروقة التي يدخلها الاشتغال بما يلقى إليها، فبعضها يشبه الذهب في صفائها وخلوصها، لكنها ناقصة باعتبار ما فوقها، ولذلك تحتاج إلى الرياضة حتى تتضاعف قواها، وبعضها يشبه الفضة في النقاء، لكنها غير متمكنة فيه لخفة وزنها ورقة عينها، فتحتاج إلى ما ينقلها عن ذلك إلى ما فوقها، وبعضها كالحديد للنفع والدفع..."[1]

3- تشعب مواقف الطريق وتعدد منازلها واختلاف وسائل قطعها والسير في مجاهلها[2].

4- يسر الإسلام ورأفته بالمسلمين، فلم تثقل الشريعة الإسلامية كاهل المسلمين بضروب البر وأنواع الطاعات، ولم تحملهم ما لا طاقة لهم به من أذكار وصلوات، ولكنها انطلقت من صميم حياتهم فيما فرضته عليهم من حقوق وواجبات وراعت قدراتهم واستعداداتهم فيما خصتهم من تشريعات، وقد نص القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[3] ، ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[4] ، وأكده الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله "يسروا ولا

---

[1] ضوء أعلى الأسفار، عبد الله بن صلاح، و. 123. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.
[2] المصدر نفسه ، و. 125.
[3] سورة البقرة، آية 185,
[4] سورة الحج، آية 78,

تعسروا، وبشروا ولا تنفروا"، وغير ذلك من النصوص التي تبين يسر الإسلام ورحمته.

وقد تمكن الشيخ ماء العينين عن طريق هذه المبادئ التي فصلها في هذا الكتاب وغيره من تدارك ما بدأ يتسرب إلى القادرية من تحجر، وإنقاذها مما صار يهددها من تقوقع وانحسار، وخاصة بعد ظهور التجانية وإعلانها الحرب ضدها، فاستعادت نشاطها من جديد في صورة أكثر فعالية وحيوية، وامتد تأثيرها إلى كثير من بلدان العالم الإسلامي وخاصة في إفريقيا السوداء.

هذه أبرز القضايا التي يثيرها هذا الكتاب، وقد تناولها الشيخ ماء العينين بمنهج إسلامي أصيل وروح صوفية عميقة. ونحن في أمس الحاجة إلى توضيحها وبيان أهميتها، وخاصة في هذا الزمان الذي تشوه فيه التصوف، وتعددت فيه الطوائف والمذاهب والأحزاب، حتى صار المسلمون- كأنهم أعوذ بالله – أهل ملل متفرقة متناحرة، وأصبحوا هدفا للكفر ولقمة سائغة في فم الأعداء.

من أجل هذا وغيره انعقد العزم على إخراج هذا الكتاب وتعميم فائدته على القراء والمهتمين، ليساهم ضمن غيره من كتب التراث الإسلامي في توضيح المعنى الحقيقي للتصوف والمقاصد السامية للطرقية الحقة، والتعرف على التجربة الإصلاحية الصوفية المعينية وموقفها من التشرذم والتمزق والاختلاف.

ولم يكن إخراج هذا الكتاب سهلا، وذلك لضياع الكثير من مؤلفات الشيخ ماء العينين، وتعرض خزانته وتراثه بصفة عامة للنهب

والطمس والتشويه، لكن الله يسر هذا الأمر ولم يضيع علينا أجر الاستفادة من هذا الكتاب، فانتهت إلى أيدينا منه نسخة بخط الشيخ أحمد بن الشمس تعود إلى سنة ست وثلاثمائة وألف للهجرة، يبدو أنها أقرب إلى النسخة الأم – كما هو مثبت في هامش آخر ورقة منها، وتتكون من اثنين وعشرين ورقة من الحجم الكبير، تنتهي بمنظومة المؤلف "إني مخاوي لجميع الطرق"، موضوع هذا التأليف، وقد زودنا بها رحمة الله عليه الأستاذ الفاضل السيد عمر الشام ابن القاضي والشاعر الشام عبد السلام سبط الشيخ ماء العينين، أكرمه الله برضوانه واسكنه فسيح جنانه، وقد رمزنا لها بالحرف "أ" واعتمدناها نسخة أصلية، وقابلناها بالنسختين المطبوعتين على الحجر بفاس، ورمزنا لهاتين النسختين بالحرف "ب" وإن لم يكن بينهما وبين النسخة الأم اختلاف كبير.

وتيسيرا على القراء والمهتمين قمنا بوضع عناوين فرعية لمباحث هذا الكتاب وفهرس لمحتوياته ومصادره، وصدرناه بمقدمة تمهد لمعرفة موضوعاته وفهم مقاصده، كما حاولنا تخريج معظم شواهده ونقوله، وألحقنا به منظومة "إن مخاوى، وبعض التقاريظ التي قيلت فيه بعد طبعه بفاس؛ فإن أصبنا في إخراجه كما أراد له مؤلفه فذلك ما نتوخاه، وإن لم يحالفنا الصواب، فيكفينا أجر الاجتهاد.

الرموز المستعملة في تحقيق هذا الكتاب

أ ــ النسخة الأصلية

ب ــ النسختان المطبوعتان على الحجر بفاس

و ــ ورقة

م - خ. مخطوط خاص

[ ] أشير بهما إلى أن ما بداخلهما ليس موجودا في النسخة الأصلية أو الحجرية

" " أشير بهما على أن ما بداخلهما من النصوص المستشهد بها في هذا الكتاب.



صورة من الورقة الأولى من كتاب مفيد الراوي

على أني مخاوي

صورة من الورقة الأخيرة من "أ"

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* جاء ابتدا مبارك ابتداء * يحيى ابنا ما ميمون ابن فتية آ *

الحمد لله الذي بإذنه يا رب يحصل التخاوي * وبالتخاوي المعنوي يحصل
عفو الله عن المساوي * وبالمعنى يحصل الود الذي هو للبغض مداوي * والصلاة
والسلام على جامع المحاسن لكل راوي * محمد الآتي بالشريعة والحقيقة
المؤدية للعبد التساوي * وبعد فيقول العبد الفقير المسكين
ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين * عفا الله عنهم وللمسلمين آمين طلب
مني بعض الأحبة الفضلاء فيما ذكر * أن أشرح له أبياتا صدرت مني لبعض المريدين *
في أن كلام القوم كله وإن تعددت * في الظاهر ربما اختلفت * شيء واحد
وأخوة في الدين لبعضهم على بعضهم ممن له أخوة * لا بعض أولا بأعرف في الحقوق
والأبيات مطلعها الآخي فخاو لجميع الخلق ولسؤاله أن طلب مني شرحها ما
كنت أظنها تحتاج لشرح ولذلك أفهم شرحها إن شاء الله لوضوح ما أتيت به في كل
الحق وقد سميت هذا الشرح مفيد الراوي على أني مخاوي وسافر
على الكلام عليه سبب الفعل الذي حملني على قولها المعروف إذا علمه الناس في
تروعهم وأمرهم فأقول وبالله استعين * وعليه في الأمور اعتمد
أن سبب الفعل الذي حملني على هذا القصيدة أني لما تفضل الله علي بأن زاد إلي
ابن وليداء المزوية من خيار أبناء لي عن شيخي ابن فلة عيني الأم مصاد * وأما
وأعطاني أذن في أعطاني * بمشاهدها مع أوليائها * حاز من لم تكن له خبرة
بأنها من أهل الله * يتعجب من ذلك ويقول سبحان الله * فالآن يعطي
العربي البلالية ويعطي العريفة البلالية أهذا يمكن مستغربا وبعضهم يقول

صورة من الصفحة الأولى من المطبوع الحجري
من كتاب المداوي للمعترض للفظة مخاوي

متباينة يعلم من مجموعها انهم ما كانوا يلتزمون لفظا واحدا على الخصوص بحيث يعد مراده
او مناربه عيبا او ضعفا، كلا، بل قليلهم لا يبدي فرقا، واعلم يا اخي ان المنافسة في اداء
الالفاظ كما في نسخ البنوه بعد فهم معناها ما انبثت من شأن المحققين وانما فائدة المحصلين
او الفضلاء، بل المحققين شأنهم بيان معاملات الفهم وقد يشتغلون بذلك ابتداء على
سبيل الشفقة تدريبا للمتعلمين ولرياضة الطالبين ولذلك لم يتعرض لمثل اللفظة اهل بلاد
حضرتهم الذين بكل بلد مع اشتهارهم بكل العلوم، وتحققهم للمنقول منه والمفهوم
وما ذاك الا لعلمهم بمقصود القايلين حتى انهم يعبرون بحسب فهمهم للطالبين وليكن
هذا آخر هذا الكلام، على هذا المرام، وتسميته بالمداوي للمتعرض للفظة مخاوي
والحمد لله والشكر على افضال من للمعالي حاوي محمد ابن رشد بالرواية عنه الراوي وآخر

دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

انتهى انتصاف ربيع الاول عام

احد عشر بعد ثلاثماية والف

عرفنا الله خيرها وخيرهما

بعدله ووفانا

خيرهما

آمين

حمدا لمن جعل الفوز للمومنين في نيل المخصوص، ونحمده على الاء لغبة والتثبت والثروة لنيل
درجات الخصوص، سبحانه ما ارافه بنا حيث بين لنا كل ما يشتهى والمنعم والخير وفتح
ابواب الرشد والبر والفلاح للسالك والغابرين، تنوعت الاسباب والعوالم، واختلف
حكم الباطن والظاهر، وتغايرت الاوزان والعرف، وتباينت النحل والنعم، فالكل موكل
وواصل اليه، ودليل قولي لا بعقله عليه وصلاة وسلاما تامين مؤبدين الى يوم الدين
على سيدنا ومولانا محمد امام النبيين والمرسلين ونخبة المتقين، وخير من وطئ الثرى من المخلوقين
وقائد الغر المحجلين، وعلى آله واصحابه اجمعين، ومن تبعهم باحسان من الائمة المرشدين.

صورة من الصفحة الأخيرة من المطبوع الحجري من كتاب المداوي للمعترض للفظة مخاوي

- 1 -

كتاب

مفيد الراوي على أني مخاوي



[ابــتـداء]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

جاء ابتدا مبارك ابتداء   يجى انتها ميمون الانتهاء

الحمد لله الذي بالإيمان به يحصل التخاوي، وبالتخاوي الحقيقي يحصل غض البصر عن المساوي، وبالغض يحصل الود الذي هو للبغض مداوي، والصلاة والسلام على جامع المحاسن لكل راوي، محمد الآتي بالشريعة والحقيقة المرئية للعبد التساوي.

وبعد، إني أيها العبد الفقير المسكين ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل بن مامين غفر الله لهم وللمسلمين آمين طلب مني بعض الأحبة الصادقين، أن اشرح له أبياتا صدرت مني لبعض المريدين في أن طرق القوم كلها وإن تعددت، وفي الظاهر ربما اختلفت، شيء واحد وأخوة في الدين، ولبعضهم على بعض حرمة الأخوة، شيء واحد وأخوة، لا بغض الاباعد ذوي الجفوة.

والأبيات مطلعها:

إني مخاو لجميع الطرق،

ولولا أني طلب مني شرحها ما كنت أظنها تحتاج لشرح، وبذلك أقصر شرحها إن شاء الله لوضوح ما أتت به في كل الطرق.

وقد سميت هذا الشرح، **مفيد الراوي على أني مخاوي**، وسأقدم على الكلام عليها سببَ الفعل الذي حملني على قولها، ليعذرني إذا علمه الناظر في فروعها وأصولها، فأقول ومن الله استمد، وعليه في الأمور أعتمد، إن سبب الفعل الذي حملني على هذه القصيدة، أني لما تفضل الله علي بأوراد الأولياء المروية عن خير الأنبياء، عن شيخي أبي[1] قرة عين الأصفياء، وأعطاني الإذن في إعطائها لمن شاءها من أوليائها، صار من لم تكن له خبرة باتحاد طرق أهل الله يتعجب من ذلك، ويقول: سبحان الله، فلان يعطي الطريقة الفلانية، ويعطي الطريقة الفلانية، أهذا يمكن؟ مستفهما؛ وبعضهم يقول: هذا لا يمكن، منكرا؛ ولبثت برهة من الزمان وأنا متعام عن هذا ومتغافل، لأني كثيرا ما كنت أسمع شيخنا رضي الله عنه وأرضاه يقول: التغافل من شأن التعاقل، وكثيرا ما يقول لي مشافهة: يا بني، التغافل حسن والغفلة قبيحة، والتجاهل حسن والجهل قبيح؛ ولأن الناس إنما يلتفت إليه منها من قل كلامه وكان لفائدة أو استفادة، وأما أهل كثرة الكلام، فلا فائدة ولا استفادة، فلا يُلتفتُ إليهم كما قيل:

[الطويل]

ولو كلما كلب عوى صحت خلفه	لطال بنا إن الكلاب كثير
ولكن مبالاتي بمن صاح أو عوى	قليل لأني بالكلاب بصير[2]

---

[1] يقصد والده الشيخ محمد فاضل بن مامين المتوفى بالحوض سنة 1286هـ/1865م. الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية، ص: 122، محمد الظريف.

[2] - ورد هذان البيتان في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي كما يلي:

ولو كلما كلب عوى ملت نحوه	أجاوبه إن الكلاب كثير
ولكن مبالاتي بمن صاح أو عوى	قليل فإني بالكلاب بصير

وهما منسوبان لأبي العباس بن سريج. طبقات الشافعية الكبرى ج 3، ص 28، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية ، د.ت.

وللمؤلف في هذا المعنى:

لاتحسبن متغافلا غفل	ولا تحسبن متجاهلا جهل
فكن عليما بالذي تجاهلا	وكن فطينا بالذي تعافلا

هامش (ب) ص: 3.

حتى تفضل الله علي بأن أرسل لي السلطان مولاي الحسن[1]-

أدام الله أيامه، ونصر بالحق أعلامه – وقدمت إليه في مدينة مراكش عام أربعة وثلاثمائة وألف، وجدت فيها بعض مواريدنا الصادقين وأهل الطرق الرائقين، فتكلموا معي في ذلك، فقلت لهم: إني لا علم لي بأصل يمنع ما هنالك، فكأن بعضهم، تشوفت نفسه لمستند يكون عنده لما عندي، فقلت له: يا بني أنا فوالله ما كنت أظن إلا أن طرق أهل الله شيء واحد، لأن شيخي – رضي الله عنه وأرضاه – ما ذكر لي تفرقة بينهم، بل قصارى خبره في ذلك أن يقول هذا الورد من الأوراد التي كان فلان ملازما لها من غير أن يقول لي لا ورد له غيره، أو لم يعط غيره، أو من أخذه لا يأخذ غيره، فيصير عندي ذلك كأنه مدح لذلك الورد أو لذلك الولي لا غير، حتى خرجت من عنده[2]، وأتيت البلاد غير بلده، إذا بالناس كأنها – أعوذ بالله – أهل ملل متفرقة وأهل طرق مختلفة، فتعجبت مما فيه الناس، وتعوذت مما فيه الوسواس، قلت للمريد أن لا اختلاف بين هذه الأجناس، لأن الطريق طريقة واحدة لأشرف ذوي الأنفاس، لثبوت أخوة أهلها بالكتاب الذي لا بغيره يقاس. ولذلك قلت غفر الله لي ما قلت:

---

[1] هو السلطان مولاي الحسن بن محمد بن عبد الرحمان بن هشام، ولد سنة 1247هـ/1831م، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة1290 هـ، قضىمعظم فترة حكمه على ظهر جواده لضبط شؤون الدولة حتى لم يبق في إيالته من يحرك الشريدا النقود، وضرب النفوذ باسمه، وأنشأ معملا للسلاح سنة 1308، وأوفد إلى انجلترا والمانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا عدة بعثات طلابية واعتنى بتحصين الثغور وبناء أبراجها، وكان له اهتمام خاص بالصحراء، وقد عين الشيخ ماء العينين نائبا عنه في النظر في شؤونها بظهير معروف، توفي في رحلته من مراكش إلى مكناس سنة 1311ها/1894م فحمل إلى الرباط، الاعلام، الزركلي ج 2 ص 220.

[2] خرج الشيخ ماء العينين من عند والده الشيخ محمد فاضل قاصدا حج بيت الله الحرام عن طريق الشمال سنة 1274 هـ ، وقد زار خلال هذه الرحلة السلطان مولاي عبد الرحمان بمكناس، فأكرمه وزوده برسالة منه إلى عامله بطنجة يأمره فيها بالاعتناء به في أمر سفره، ولما عاد من الديار المقدسة استقر بالساقية الحمراء، وظل ينتقل بينها وبين مراكش و فاس وغيرها من جهات المغرب، داعيا ومجاهدا في سبيل الله وفي خدمة الوطن إلى أن توفي بتزنيت سنة 1328هـ/1910م... الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، محمد الظريف..

[أخوة جميع الطرق]

إني مخـاو لجميــع الطـرق	أخوة الإيمان عنـد المتقـي
و لا أفــرق للأولــيــاء	كـمــن يـفـرق للأنبيــاء
قال تعالى المومنـون إخـوة	وعدم التفريـق فيـه أسـوة
لأفضل الخلق بعكس التفريـق	ففيــه أسـوة لكـل زنـديـق
من اليهود والنصـارى لعنـوا	عند الذي بربه قـد يـومـن

أعني أني مخاو [أي مؤاخ، لكن لظهور اللفظ الذي في النظم عند أهل الزمن، قلت] [1] مخاو لجميع الطرق التي تنسب لله، أخوة الإيمان عند الشخص المتقي لله، بمعنى أني جاعل لها كمنزلة الإخوة الذين هم كالشيء الواحد، وأني لا افرق بين الطرق التي تنسب للأولياء كالشخص الذي يفرق بين الأنبياء عليهم السلام في طرقهم، ثم استشهدت على ذلك التخاوي، وأنه الأولى بأنه تعالى قال: ﴿إنما المومنون إخوة﴾[2]، وبأن عدم التفريق فيه أسوة، أي قدوة ومتابعة لأفضل الخلق صلى الله عليه وسلم في عدم تفرقته بين الأنبياء، بعكس التفريق للأولياء، فإن فيه أسوة أي، قدوة ومتابعة لكل زنديق، أي رجل شديد البخل، وقيل الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقال هو الملحد الطاعن في الأديان، ولذلك عرفته بنسبته لكونه من اليهود والنصارى؛ وقولي: لعنوا الخ، أعني أن اليهود والنصارى لعنوا، أي طردوا و أبعدوا من رحمة الله عند الذي يومن بربه ويصدق برسوله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] - ب ص 4

[2] سورة الحجرات ، آية 10.

تنبيهات:

[أخوة الطرق نابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم]

الأول: اعلم أني ما فعلت ما فعلت إلا اتباعا لكتاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولولا قولي اتباعا، لكان تحصيل الحاصل، والأمر كذلك لأن فعل الله سابق لكل أحد، وفعل رسوله صلى الله عليه وسلم سابق لنا معشر الأمة، وهو تعالى قال: ﴿إنما المومنون إخوة﴾[1]، "جمع الأخ، وأصله المشارك لآخر في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما أو من الرضاع، ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة، أو في غير ذلك من المناسبات؛ والفرق بين الخلة والأخوة، أن الصداقة إذا قويت صارت أخوة، فإن ازدادت صارت خلة، كما في روح البيان[2] وإحياء علوم الدين.

وسئل الجنيد[3] - قدس سره – عن الأخ، فقال: هو أنت في الحقيقة، إلا أنه غيرك في الشخص.

قال بعض أهل اللغة: الإخوة جمع الأخ من النسب، والإخوان جمع الأخ من الصداقة، ويقع أحدهما موقع الآخر.

---

[1] - سورة الحجرات ، آية 10.

[2] - روح البيان ، ص 313

[3] الجنيد، هو منبع التصوف السني، ولد ونشأ وتوفي ببغداد، عرف بالخزاز لأنه كان يعمل الخز، وبالقواريري نسبة لعمل القوارير، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، له رسائل منها ما كتبه لبعض إخوانه ومنها ما هو في التوحيد والألوهية، وله "دواء الأرواح" توفي سنة 297هـ/ 910م. الاعلام، الزركلي ج 3 ص 143، الرسالة القشيرية ج 1 ص 28، مطبعة حسان 1972.

وفي الحديث "وكونوا عباد الله إخوانا"[1].

والمعنى، إنما المومنون منتسبون إلى أصل واحد، وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية، كما أن الإخوة من النسب منتسبون إلى أصل واحد، هو الأب الموجب للحياة الفانية؛ فالآية من قبيل التشبيه البليغ المبني على تشبيه الإيمان بالأب في كونه سبب الحياة كالأب"[2]، فبان من هذا أن أهل طرق أهل الله شيء واحد وأنه لا تفرقة بينهم، كما لا تفرقة بين بني الأب.

الأخوة الدينية موجبة للإصلاح

الثاني: اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿إنما المومنون إخوة﴾ ، أتبع ذلك بقوله: ﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾[3]. "والفاء للإيذان بأن الأخوة الدينية موجبة للإصلاح، ووضع المظهر مقام المضمر مضافا إلى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه، وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد، ثم أتبع تعالى ذلك، بقوله: ﴿اتقوا الله لعلكم ترحمون﴾، أي، واتقوا الله، فالتقوى تحملكم على التواصل والائتلاف، وكأن عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله إليكم مرجوا. ويقال: واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الأمور التي من جملتها ما أمرتم به من الإصلاح؛ وفي

[1] مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 7، طبعة الميمنية، مصر، صحيح البخاري ج 7 ص 24، طبعة دار الفكر.

[2] روح البيان 4 ، إسماعيل حقي، مطبعة بولاق 1276هـ ص51.

[3] سورة الحجرات، آية 10.

التأويلات النجمية[1]، "واتقوا الله في إخوتكم في الدين بحفظ عهودهم ورعاية حقوقهم في المشهد والمغيب والحياة والممات؛ وقوله: ﴿لعلكم ترحمون﴾، راجين أن ترحموا على تقواكم كما ترحمون"[2]؛ وفي الحديث: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدين فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله تعالى يوم القيامة"[3].

فبان من هذا أن كلما يؤدي للإصلاح والائتلاف هو المطلوب، وليس ذلك إلا في نظر أن الطرق إلى الله تعالى طريق واحدة، وأما غير ذلك، فإنه يؤدي إلى ما لا يعلم علمه إلا الله من التنافر والتشاجر كما يعلمه القائلون بذلك.

[أخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب]

الثالث: "إعلم أن أخوة النسب أقوى منها أخوة الإسلام بحيث لا تعتبر أخوة النسب إذا خلت عن أخوة الإسلام، ألا ترى أنه إذا مات المسلم، وله أخ كافر، يكون ماله للمسلمين، لا لأخيه الكافر، وكذا إذا مات أخوه الكافر؛ وذلك لأن الجامع الفاسد لا يفيد الأخوة؛ وأن المعتبر

[1] - التأويلات النجمية: من التفاسير الصوفية المشهورة ألفه العلامة نجم الدين المتوفى سنة 654 هـ ، ومات قبل أن يكلمه،، فأكمله علاء الدولة السمناني المتوفى سنة 736هـ.
-كشف الظنون، حاجي خليفة ج 1 ص 238.
- لطائف الإشارات ، الإمام القشيري ج 1 ، ص 6 تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني ، ط 2، طبعة مصورة 1981.

[2] روح البيان ج1 ص: 51.

[3] ورد هذا الحديث بصيغتين: لا يسلمه ولا بشقيه بذل لايشتمه..
- سنن أبي داود، الحديث رقم 4893، الطبعة المرقمة.
- شرح السنة للبغوي و ج 13 وص : 98و طبعة المكتب الإسلامي.

الأصلي الشرعي. ألا ترى أن ولدي الزنى من رجل واحد لا يتوراثان؛ وهذا المعنى يستفاد من الآية المتقدمة أيضا لأن (إنما) للحصر، فكأنه قال: لا أخوة إلا بين المومنين، فلا أخوة بين المومن والكافر، وكسب المرتد حال إسلامه لوارثه المسلم لاستناده إلى ما قبل الردة، فيكون توريث المسلم من المسلم، وأما كسبه حال ردته، فهو فيء يوضع في بيت المال لأنه وجد بعد الردة، فلا يتصور إسناده إلى ما قبلها؛ وفي الحديث: "كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي"[1] فبان من هذا أن سببه صلى الله عليه وسلم المنسوب إليه ونسبه شيء واحد، ولا يفرقه إلا من جعل بعضه إسلاما وبعضه كفرا، أعاذنا الله من ذلك.

[أقسام القرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم]

الرابع: "قال بعض الكبار: القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام؛ لأنها إما قرابة في الصورة فقط، أو في المعنى فقط، أو في الصورة والمعنى.

وأما القرابة في الصورة فلا تخلو إما أن تكون بحسب طينته كالسادات الشرفاء، أو بحسب دينه وعلمه كالعلماء والصالحين والعبّاد وسائر المؤمنين، وكل منهما نسبة صدرية.

وأما قرابته عليه السلام في المعنى، فهم الأولياء، لأن الولي هو ولده الروحي القائم بما تهيأ لقبوله من معناه، ولذلك قال صلى الله عليه

[1] مستدرك الحاكم، ج 3 ، ص : 142، تصوير بيروت، روح البيان ، ج 1، ص : 52.

وسلم : "سلمان منا أهل البيت"[1]، إشارة إلى القرابة المعنوية.

وأما القرابة في الصورة والمعنى معا، فهم الخلفاء والأئمة القائمون مقامه، سواء كان قبله كأكابر الأنبياء الماضين، أو بعده كالأولياء الكاملين، وهذه أعلى مراتب القرابة، وتليها القرابة الروحية، ثم القرابة الصورية الدينية، ثم القرابة الطينية، فإن جمعت ما قبلها فهي الغاية"[2].

فبان من هذا أن هذه القرابات لا ينبغي التفريق لها كلا وأحرى ما هو منها كالشيء الواخد، وهي قرابة الأولياء.

[نظر التفرقة يكون من النفس الأمارة، لا من الروح]

الخامس: قال بعضهم: "إن الله تعالى خلق الأرواح من عالم الملكوت والأشباح من عالم الملك، ونفخ فيها تلك الأرواح، وجعل بينهما النفوس الأمارة التي ليست من قبيل الأرواح ولا من قبيل الأشباح، وجعلها مخالفة للأرواح ومساكنها أي الأشباح، فأرسل عليها جند العقول ليدفع بها شرها، وهي العقول المجردة الأخروية، وإلا فالعقول الغريزية والدنيوية لا تقدر على الدفع، بل هي معينة للنفس، فإذا امتحن الله عباده المومنين هيج نفوسهم الأمارة ليظهر حقائق درجاتهم من الإيمان والأخوة، وأمرهم أن يعينوا العقل والروح والقلب على النفس حتى تنهزم، لأن المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا، فهم كنفس واحدة

[1] ورد هذا الحديث بصيغة أخرى هي: "سلمان من أهل البيت" تاريخ أصفهان لأبي نعيم، ج 1 ، ص: 54، طبعة أوربا، كما ورد بصيغة أخرى هي: "سلمان سابق الفرس إلى الجنة" مجمع الزوائد للهيثمي، ج3 ،ص: 305، ط. القدسي.

[2] روح البيان ج 1 ص: 51.

لأن مصادرهم مصدر واحد، وهو آدم عليه السلام، ومصدر روح آدم نور الملكوت، ومصدر جسمه تربة الجنة في بعض الأقوال، ولذلك تصعد الروح إلى الملكوت والجسم إلى الجنة ـ كما قال عليه السلام ـ "كل شيء يرجع إلى أصله".

وفي التأويلات النجمية: إعلم أن أخوة النسب إنما تثبت إذا كان منشأ النطف صلبا واحدا، فكذلك أخوة الدين، منشأ نطفها صلب النبوءة، وحقيقة نطفها نور الله، فإصلاح ذات بينهم برفع حجب أستار البشرية عن وجوه القلب ليتصل النور بالنور من روزنة[1] القلب ليصيروا كنفس واحدة، كما قال عليه الصلاة والسلام: "المؤمنون كنفس واحدة إن اشتكى عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[2].

فبان لك من هذا أن نظر التفرقة لا يكون إلا من النفس الأمارة، وأما الروح فلا تنظر في التفرقة أصلا، وجند العقل يحاول دفع شر الأمارة عن الروح، وأن المؤمنين كالنفس الواحدة، ومن ذا الذي يفرق بين نفس واحدة!

[حقوق الأخوة في الدين]

السادس: اعلم أن "من حق الأخوة في الدين أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، ويسرك ما يسره، ويسوؤك ما يسوؤه، وأن لا تحوجه إلى الاستعانة بك، وإن استعان تعنه وتنصره ظالما أو مظلوما، فمنعك إياه

---

[1] الروزنة : الكوة، الخرق في أعلى السقف، لسان العرب (رزن).

[2] ورد هذا الحديث بصيغتين: "المومنون كجسد واحد..."، "المومنون كرجل واحد،" تفسير القرطبي، ج 16 ، ص: 327، دار الكتب المصري، مسند الإمام أحمد، ج 4، ص: 271 – 276 ، طبعة الميمنية مصر.

عن الظلم، فذاك نصرك إياه. وفي الحديث المتقدم: "المسلم أخو المسلم " إلى آخره، ومن حقه أن لا تقصر في تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج إلى مسألتك، وأن لا تلجئه إلى الاعتذار، بل تبسط عذره، فإن أشكل عليك وجهه عدت باللائمة على نفسك في خفاء عذره، وتتوب عنه إذا أذنب وتعوده إذا مرض، وإذا أشار لك بشيء فلا تطالبه بالدليل وإيراد الحجة، كما قالوا:

[البسيط]

لايسألون أخاهـــم حين يندبهـــم   في النائبات على ما قال برهانا[1]

وقالوا:

[الطويل]

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم   لأيـــة حـــرب أم بأي مكـــــان[2]

فبان لك من هذا أنك لا تحب التفرقة مع إخوانك، فكيف تفرق بين المؤمنين، وأنك تحب إن استعنت أحدا أن يعينك، فكيف لا تعين من استعان بك، أو تترك من يعين من استعان به، إلى غير ذلك من هذه الوجوه التي ما منها واحد إلا ويشير إلى الائتلاف وترك الاختلاف أو يصرح به.

---

[1] - من الشواهد الشعرية المعروفة، وهو منسوب لقريط بن أنس العنبري- خزانة الأدب، البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون ج 7 ، ص 441 ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3 . 1996.

[2] روح البيان ، ج 1، ص : 52. وهذا البيت منسوب لابن وداك بن ثميل المازني، العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق عبد المجيد الترحيني، ج 6، ص 59، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 - 1983.

[عدم التفرقة بين الأولياء فيه الأسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم]

السابع: اعلم أن قولي إن عدم التفرقة فيه الأسوة بالنبي، والتفرقة فيها الأسوة باليهود والنصارى، ظاهر من نصوص الكتاب في غير ما آية، قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾[1]. فأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما قال اليهود والنصارى بنبوءة موسى وعيسى وينكرون نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم، بل المؤمنون يقولون:

نومن بجميع رسله بأنهم رسل الله إلى عباده وأمناؤه على وحيه، وأنهم معصومون، وأنهم أفضل الخلق، وأن بعضهم أفضل من بعض لقوله تعالى:﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾[2]، وأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾[3]. وقال تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض﴾[4] كاليهود كفروا بعيسى عليه السلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم والإنجيل والقرآن، وكالنصارى كفروا بموسى والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن؛ ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾[5]، أي دينا وسطا بين الإيمان والكفر، ولا واسطة بينهما، قال تعالى:

---

[1] سورة البقرة، آية 285.
[2] سورة البقرة، آية 253.
[3] سورة سبأ، آية 28.
[4] سورة النساء، آية 150.
[5] سورة النساء، آية 151.

﴿أولئك﴾، يعني من هذه صفتهم ﴿هم الكافرون حقا﴾[1]، يعني يقينا، وإنما قال ذلك توكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم أن الإيمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم، وليعلم أن الكفر ببعض الأنبياء كالكفر بكلهم، لأن الدليل الذي يدل على نبوءة البعض، وهو المعجزة لزم منه أنه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوءة، وقد وجدت المعجزة لجميع الأنبياء، فلزم الإيمان بجميعهم، قال تعالى: ﴿واعتدنا﴾ أي هيأنا ﴿للكافرين عذابا مهينا﴾، يعني يهانون فيه، ثم قال تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نوتيهم أجورهم﴾[2]، يعني جزاء إيمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله،﴿ وكان الله غفورا رحيما﴾[3]، يعني أنه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم أنه يتجاوز عن سيئاتهم، ويغفرها لهم، ويرحمهم، فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم إذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر، والآية تدل أيضا على بطلان قول المعتزلة في تخليد المرتكب الكبيرة، لأنه أخبر أن من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد، فيدخل تحت الوعد؛ وعلى بطلان قول من لا يقول بقدم صفات الفعل من المغفرة والرحمة، لأنه قال: ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾[4]، وبئسما قالوا؛ بل صفاته كلها قديمة بقدمه الأزلي.

---

[1] سورة النساء، آية 151.
[2] سورة النساء، آية 153.
[3] سورة النساء، آية 153.
[4] سورة النساء ، آية 153.

فبان لك من هذا أن عدم التفرقة بين الأولياء هو القدوة بالنبي صلى الله عليه وسلم في عدم التفرقة بين الأنبياء، وأن التفرقة بينهم فيها القدوة باليهود والنصارى لعنهم الله.

[اتباع جميع الأولياء للرسول صلى الله عليه وسلم دليل على وحدة الطرق]

ثم ذكرت لك دليلا على صحة كون طرق أهل الله طريقا واحدة بنظر قولهم جميعا لمواريدهم في المبدإ والمنتهى بقولي غفر الله لي:

وانظر لمبدا طرق والمنتهى   تعلم ما قلت بما قد يشتهى

وذاك أن كلهم لك يقول   عليك باتباع فعل ذا الرسول

عليه أفضل الصلاة والسلام   وهكذا تتبع منه للكلا

أعني أنك أيها السامع إن شئت أن تعلم صدق ما قلته لك في طريق كل أحد من الأولياء، فانظر لمبدا، أي ابتداء طرق كلهم والمنتهى، أي انتهائها، فإنك تعلم، أي تعرف صدق ما قلت لك بالدليل الذي قد يشتهى، أي يحبه كل أحد، وذلك الذي تنظر فيه هو أن كل الأولياء يقول لك: أيها التابع لهم عليك باتباع فعل ذا الرسول الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم، عليه أفضل الصلاة، أي الرحمة، والسلام أي الأمان، وهكذا، أي وكذلك، أي مثل ذلك القول يقول لك إنك تتبع منه للكلام، أي القول.

وحاصل معنى الأبيات أن الأولياء كلهم يقولون لأتباعهم، عليكم باتباع أفعال النبي وأقواله؛ وإذا فطريقهم طريق واحدة في المبدإ

والمنتهى، ومن قال إنهم يقولون غير ذلك، فقد افترى عليهم الكذب، ونسبهم لغير ما تكون به الولاية، وهو الطاعة، والطاعة لا تكون إلا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله، لأن الولي من والى الطاعات ولم يخللها بمعصية.

[استحالة التفريق داخل طريق الرسول صلى الله عليه وسلم بين فعل وفعل وقول وقول]

ثم قلت أيضا:

ومستحيل أن يقولُ اتبعـــا   منـــه لـذا وذا لـه لا تتبعــا

أعني، أنه مستحيل عقلا ونقلا أن يكون شخص من الأولياء، ويقول لأحد اتبع من النبي صلى الله عليه وسلم لذا القول مثلا أو الفعل، ولا تتبع له هذا القول الآخر وذا الفعل، لأن هذا ليس إلا كمن يقول: ﴿نومن ببعض ونكفر ببعض﴾[1] ، بل هو أشد، ولذلك قلت غفر الله لي:

وذا الذي يـقـول ذا أشد من   تفـرقه الرسـل فافهـم يا فطـن

لأن ذاك بـيـــن قـوم فرقـا   ورام ذا تفريق شخـص حقـقـا

أعني أن هذا الشخص الذي يقول: اتبع هذا من قول النبي أو فعله ولا تتبع هذا الآخر أشد من شخص يفرق بين الرسل، فافهم هذا يا فطن، أي يا فاهم، ثم عللت ذلك بقولي: لأن ذلك، أعني أن كون ذلك الذي يفرق بين طريق النبي أشد من المفرق بين الرسل، لأن المفرق بين الرسل

---

[1] سورة النساء، آية 150.

فرق بين قوم يمكن تفرقتهم [1] عقلا، وهذا قد رام، أي قصد تفريق شخص واحد، وهذا لا يمكن عقلا ولا نقلا، فحقق أيها الناظر لما قلته، لأنه حق، وإياك أن يختلج في قلبك غير ذلك.

[عدم تمييز الرسول صلى الله عليه وسلم في الطاعات]

ثم ذكرت لك ما يصدق ذلك أيضا بقولي:

وهو عليه الله صلى أمـرا ... بالذكر والتقى وإخلاص جرى
ولم يقل لك بذا الذكر اذكـرا ... وذلك الـذكـر به لا تـذكـرا

أعني أنه صلى الله عليه وسلم أمر أمته بذكر الله تعالى وبالتقى، وبإخلاص جرى، أي جار في جميع الطاعات، ولم يقل صلى الله عليه وسلم لأحد أنه يذكر بهذا الذكر ولا يذكر بغيره، أو يفعل هذا الفصل ولا يفعل غيره من الطاعات، ومن ادعى غير هذا فعليه بالحجة؛ واعلم أني قد ذكرت في البيت الأول من هذين البيتين ثلاثة أشياء، هي حاصل جميع الطاعات، ولا توجد طاعة خارجة عنها.

[الـذكـر]

الأولى: الذكر، وهو يشتمل على كل قول يرجع إلى الله تعالى من هيللة واسم مفرد وتسبيح واستغفار ودعاء وتلاوة قرآن، بل ومن كل قول يدل على طريق الله، من أمر بمعروف ونهي عن منكر، ومن أراد

---

[1] تفرقهم، في "ب" ص : 10.

الاستيفاء على الذكر فعليه بكتابنا "فاتق الرتق"[1] أو كتابنا "نعت البدايات وتوصيف النهايات"[2] أو كتابنا "المقاصد النورانية في ذكر من ذاته وصفاته متعالية"[3] أو كتاب شيخنا المسمى ب "سيف المجادل"[4] أو غير ذلك من كتب الأفاضل.

وأما هذه الأبيات، فإنما المقصود منها التنبيه على اتحاد طرق أهل الله بأدنى إشارة تزيل الاشتباه.

[التـقـى]

الثانية: التقى، وحامله اجتناب لما نهي عنه، وامتثال لما أمر به، ويدخل في ذلك كل الأفعال والأقوال المامور بها من طهارة وصلاة وصيام وحج وغير ذلك من الأفعال كلها، عبادة كانت أو معاملة، ومن امتثال أمر بذكر وتلاوة وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ومن اجتناب كل فعل منهي عنه من جميع المنهيات من شرك وكبائر وصغائر ومن كلام قبيح وشهادة زور وأيمان الطلاق، وغير ذلك مما ينهى عنه من الأقوال، ولا تجد شيئا من الطاعات يخرج عن دائرة التقى فعلا وتركا.

---

[1] فاتق الرتق على راتق الفتق، كتاب في التصوف، شرح فيه الشيخ ماء العينين منظومته "زرع" وهي منظومة من 12 بيتا ليس فيه كلماتها حرفان متلاصقان في التربية الصوفية، طبع على الحجر بفاس، كما طبع بهامش كتاب نعت البدايات وتوصيف النهايات بمطبعة دار الفكر وغيرها.

[2] نعت البدايات وتوصيف النهايات، كتاب في الآداب الصوفية طبع على الحجر بفاس، وبمطبعة دار الفكر أيضا وغيرها.

[3] المقاصد النورانية، كتاب يبين فيه الشيخ ماء العينين آداب الذكر، طبع بالمطبعة الحجرية بفاس.

[4] سيف المجادل، كتاب أبرز فيه الشيخ محمد فاضل مبادئ التصوف في الذكر والأدب، طبع بفاس أيضا.

[الإخلاص]

الثالثة: الإخلاص لله تعالى في كل قول وفعل، وهو ثمرة كل عبادة، بل لا يعتد بعبادة إلا إذا كانت خالصة لله تعالى، قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾[1]. فالإخلاص في العبودية تجريد [السر][2] عما سوى الله تعالى؛ وقال بعضهم: الإخلاص أن لا يطلع على عملك إلا الله، ولا ترى نفسك فيه، وتعلم أن المنة لله عليك في ذلك حيث أهّلك لعبادته ووفقك لها، ولا تطلب من الله أجرا وعوضا، قاله [في][3] "روح البيان"[4] بعد كلام طويل؛ وفي "الخازن": الإخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء، وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الإخلاص من ابتداء الفعل إلى انتهائه، والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه؛ والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة، فقد دلت الآية على أن كل مأمور به، فلا بد أن يكون منويا، فلابد من اعتبار النية في جميع المأمورات، قال أصحاب الشافعي: الوضوء مأمور به؛ ودلت هذه الآية على أن كل مأمور به يجب أن يكون منويا؛ فتجب النية في الوضوء"[5].

قال جامعه عفا الله عنه: وكذلك عند أكثر العلماء، وقيل الإخلاص محله القلب، وهو أن يأتي بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له، ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا غرضا آخر، حتى قالوا في ذلك: لا

---

[1] سورة البينة، آية 5.
[2] ب.ص. 11.
[3] ب.ص. 11
[4] روح البيان ، ج4 ، ص: 685.
[5] لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج 7 ، ص: 231.

يجعل طلب الجنة مقصودا، ولا النجاة من النار مطلوبا، وإن كان لا بد من ذلك، بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية، وقيل في معنى ﴿مخلصين له الدين﴾، مقرين له بالعبودية؛ وقيل: قاصدين بقلوبهم رضى الله بالعبادة؛ وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى لا ينظر على أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم"[1].

فبان لك من هذا أن الطرق في الحقيقة ليست إلا طريقا واحدة لما بان لك من اتحادها في هذه الأشياء، لأنك لا تجد شيئا منها خارجا عنها، وإذا فهي شيء واحد، ولا مانع لأحد من أخذ شيء منها من أحد.

[يسر وسماحة الشريعة الإسلامية في أخذ الأذكار وإعطائها دون تحجير]

ثم قلت:

ولو إليه كلهم قد رفعا	طريقه ونورها قد سطعا
لكنه لم يرو أنه نهى	عن غيرها فخذ لحق قد بها

الضمير في (إليه) راجع إليه صلى الله عليه وسلم، وكذلك في أنه، أعني، أنا لو قدرنا وتيقنا أن أهل الطرق كلهم قد رفع طريقه إليه صلى الله عليه وسلم، والحال أن نور طريقه قد سطع، أي ارتفع، لكنه لم يرو عنه صلى الله عليه وسلم أنه نهاه، وأنهى مطلقا عن غيرها من الأذكار، فخذ أيها الناظر أو السامع لحق قد بها، أي: حسن؛ وإذا فلا مانع

---

[1] تفسير الطبري، ج 3 ، ص : 338، ط. دار الفكر.

شرعيا من أخذ غيره من الأذكار، ولو ألف ألف لمن قدر عليه وأيضا لم يرو أحد عنه صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا أنه قال لأحد خذ عن فلان، ولا تأخذ عن غيره.

فبان من هذا أنه لا تحجير شرعي على أحد في أن يأخذ أي ذكر شاء من أي شخص شاء، ولا أن يعطي أحد ذكرا عنده لأحد يستحقه من المسلمين، لقوله صلى الله عليه وسلم "الحكمة ضالة المومن يأخذها حيث وجدها ولا يمنع أحد من أحد ضالة له عنده إذا جاءه يطلبها"[1].

[التحجير على المريدين في الأوراد رهبانية لا علاقة لها بالشريعة الإسلامية]

ثم قلت معضدا لما قلت غفر الله لي ما قلت:

وانظر لما قد قاله الشعراني	في ظاهــر وهكــذا يا فاني
بل باطن أشد إذ هو شهود	تفــرد الله بكــل مــا وجــود
وذاك يستحيــل بالتــفرقــة	لدى الشريعة وفــي الحقيقــة

أعني أنك إن شئت تعلم صدق ما قلته، فلتنظر للذي قاله الإمام الشعراني[2] في "ميزانه الكبرى" من عدم الخلاف في ظاهـــر الشرع[3]، وإن نظرت ذلك وتحققته فهكذا، أي مثل ذلك الأمر في علم الباطن يا أيها

---

[1] تفسير ابن كثير، ج 6، ص : 35، طبعة الشعب.

[2] الشعراني: هو عبد الوهاب بن أحمد علي الحنفي، نسبة إلى محمد ابن الحنفية. من علماء الصوفية، ولد في قلقشندة بمصر سنة 898هـ/1493م. وتوفي بالقاهرة سنة 973هـ/1565م. له تصانيف كثيرة منها: "الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء الصوفية"، "آداب القضاة"، "إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين"، "الجواهر والدرر الكبرى"، "الجواهر والدرر الوسطى"، "الميزان الكبرى"، "لطائف المنن" " الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر"، "اليواقيت والجواهر" وغيرها، الإعلام، ج 4 ، ص: 180.

[3] الميزان الكبرى، ج1، ص: 3 ، الشعراني ، المطبعة الأزهرية ، ط. 4 ، 1932.

الفاني؛ ثم قلت منبها على أن الباطن أشد اتحادا بقولي: بل باطن أشد إذ هو، أي لأجل أنه هو الذي يطلب به ويحصل شهود تفرد الله جل جلاله بكل، أي في كل موجود، وما زائدة، ثم بينت أن ذلك الذي يطلب به، ويحصل ذلك الشهود، ويستحيل أن يكون بشيء فيه التفرقة في الشريعة أي الأحكام الظاهرة، وفي الحقيقة، أي الأحكام الباطنة، وحاصل كلام الشعراني رضي الله عنه، أن الشريعة المطهرة جاءت من حيث شهود الأمر والنهي في كل مسألة ذات خلاف على مرتبتين: تخفيف وتشديد، ولكل من المرتبتين رجال، فمن قوي منهم من حيث إيمانه وجسمه خوطب بالعزيمة والتشديد، ومن ضعف منهم من حيث مرتبة إيمانه وضعف جسمه خوطب بالرخصة والتخفيف[1]؛ وهكذا الأوراد، منها ما هو كثير ومنها ما هو قليل، ومنها ما هو متوسط بين الكثرة والقلة، إلا أنه ربما كان كثيرا في حق شخص، قليلا في حق آخر، ومنها ما هو في وقت واحد، ومنها ما هو في وقتين، ومنها ما هو في الأوقات كلها؛ والأشياخ رضي الله عنهم كل واحد منهم عمل على ما اقتضاه رأيه وما سنح له مما يليق بمن تبعه، وربما أعطى الواحد منهم للمريد أولا قليلا من الأوراد، ثم بعد ذلك يصير يزيده شيئا فشيئا حتى يعطيه أكثر كثير بحسب قوته، ولم يبلغنا أن أحدا منهم قال لمريده خذ هذا الذكر أو هذا العدد ولا تزد عليه غيره من العبادات، بل كانوا يأمرونهم بكثرة ذكر الله وكثرة نوافل الخير حتى تكون الأوقات مستغرقة بالطاعات ليحصل بذلك دوام المشاهدات حتى يكون الحق سَمْعَ الشخص وبصرَه الوارد في

---

[1] تناول الشيخ ماء العينين هذه المسألة انطلاقا من "الميزان الكبرى" للشعراني في كتابه "دليل الرفاق على شمس الاتفاق" ج 1، 3 -4، تحقيق البلعمشي أحمد يكن، مطابع فضالة المحمدية 1982.
الميزان الكبرى ، ج 1 ،ص 3.

أصدق الروايات، ولكنهم ربما أعطوا للشخص وردا واحدا ليلازمه على الدوام اقتداء بالفرائض على العباد، وتخلقا بالأخلاق الرحمانية، ولأن أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل، فيجعلون له ذلك كالفرض، ويدعون له بعد ذلك باب التنفل بالذكر وأنواع العبادات مفتوحا يدخل من أي باب شاء، في أي وقت شاء، بل كانوا يذمون الغفلة بما ذمها الله به ورسوله، ويرون ترك الزيادة في الفعل والقول من العبادات من عيوب النفس التي يطلب لها الدواء، ولذلك قال شيخنا في "مطية المجد"[1] جزاه الله برضاه، وجعل أعلى الجنة مثواه:

من عيبها تتــرك للزيــاده في القول والفعـــل من العـباده
دواؤها فقل لها من لم يكُن في الزيْد فهو في انتقاص مستكنْ

ثم إن تفضل الله على الشخص بالقوة على الأذكار وصار يقدر عليها آناء الليل وأطراف النهار، فمن أفضل ما يشتغل به ما هو مأثور عن السلف ليحصل له فضل الاقتداء والاتباع، ويسلم من نخوة العجب وشر الابتداع، إذ كل أمر ليس له مستند من النبي صلى الله عليه وسلم وتابعي ملته لا يلتفت إليه ولا يعول أحد عليه، ولو فرضنا أن الله تبارك وتعالى أعطى لشخص قوة على استعمال جميع الأوراد، من ذا الذي يمنعه من شيء منها بوجه شرعي؟ من ذا الذي يترك وجها شرعيا على وجه بدعى؟ ثم إن تفضل الله عليه أيضا بها وأراد أن يعطيها أو بعضها لمن أرادها منه، من ذا الذي يمنعه أيضا من ذلك بوجه شرعي؟ هذا لعمري من الإبداع الذي ليس فيه إبداع، ومن الابتداع الذي ليس فيه

[1] منظومة في السير والسلوك توجد منها نسخة مخطوطة عند الأستاذ الطالب أخيار بن الشيخ مامين بنواكشوط.

انتفاع، وكيف يمنع أحد من ذكر مع ذكر، وهو نور على نور، وكيف يمنع أحد من نفع أحد مع الإمكان فيهما والقدرة عليهما !؟

[الألفة وترك الفرقة أساس الشريعة الإسلامية]

فبان لك من هذا أن التحجير الذي يفعله بعض المنتسبين للمتصوفة على الشخص من عدم أخذ ذكر على ذكر، ومن عدم إعطاء شخص لذكر مع ذكر ليس هو في شيء من الشرع، وإنما هي رهبانية ابتدعوها لم يجدوا قوما عن نبيهم سمعوها، وكيف لا وهو تعالى قال: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾[1] ، ومعنى شرع بين، أي بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين، أي دينا تطابقت على صحته الأنبياء، والمراد بإقامة الدين هو توحيد الله والإيمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله في أوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما؛ وقيل: أراد تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقيل: بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة.

قال علي رضي الله عنه: لا تتفرقوا، فالجماعة رحمة والفرقة عذاب؛ وقيل: المراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ والمواظبة عليه والتشمر له؛ والخطاب متوجه إلى جميع أمته عليه الصلاة والسلام، فهذه وصية لجميع العباد.

---

[1] سورة الشورى، آية 13.

واعلم أن الأنبياء عليهم السلام مشتركون ومتفقون في أصل الدين، وجميعهم أقاموا الدين وقاموا بخدمته وداموا بالدعوة إليه، لم يختلفوا في ذلك.

قال جامعه – عفا الله عنه- : فكان الصواب أن يكون العلماء بالله كذلك، لأن العلماء ورثة الأنبياء، وللوارث ما للموروث، وباعتبار هذا الاتفاق والاتحاد في الأصول، قال الله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[1]، من غير تفرقة بين نبي ونبي، ومختلفون في الفروع والأحكام؛ قال تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾[2]، وهذا الاختلاف الناشئ من اختلاف الأمم وتفاوت طبائعهم لا يقدح في ذلك الاتفاق؛ ثم أمر عباده بإقامة الدين والاجتماع عليه، ونهاهم عن التفرق فيه، فإن يد الله ونصرته مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب الشاة البعيدة النافرة المنفردة عن الجماعة؛ وأوصى حكيم أولاده عند موته، وكانوا جماعة، فقال لهم: إيتوني بعصي، فجمعها، فقال لهم: أكسروها وهي مجموعة، فلم يقدروا على ذلك، ثم فرقها، فقال: خذوا واحدة، فاكسروها، فكسروها، فقال لهم: هكذا أنتم بعدي، لن تغلبوا ما اجتمعتم، فإذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم فأهلككم، هكذا في "روح البيان". وكذا القائمون بالدين إذا اجتمعوا على إقامته ولم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو، وكذا الإنسان نفسه، إذا اجتمع في نفسه على إقامة الدين لم يغلبه شيطان من الإنس والجن بما يوسوس به إليه مع مساعدة الإيمان والملك بإقامته له.

---

[1] سورة آل عمران، آية: 19.
[2] سورة المائدة، آية: 48.

وتقدم قول علي كرم الله وجهه: "لا تتفرقوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب"، وتزيد بعض الروايات: و"كونوا عباد الله إخوانا".

قال سهل[1]: الشرائع مختلفة، فشريعة نوح هي الصبر على أذى المخالفين، وشريعة إبراهيم عليه السلام هي الانقياد والتسليم، وشريعة موسى عليه السلام هي الاشتياق إلى جمال الرب الكريم، وشريعة عيسى عليه السلام هي الزهد والتجرد العظيم، وشريعة نبينا عليه الصلاة والسلام هي الفقر الحقيقي المغبوط عند كل ذي قلب سليم، كما قال: "اللهم أغنني بالافتقارُ إليك". وهذه الشرائع الباطنة باقية أبدا، ومن أصول الدين التوجه إلى الله بالكلية في صدق الطلب وتزكية النفس عن الصفات الذميمة وتصفية القلب عن معلقات الكونين، وتحلية الروح بالأخلاق الربانية ومراقبة السر لكشف الحقائق وشواهد الحق، وكان نبينا عليه الصلاة والسلام قبل البعثة متعبدا في الفروع بشرع من قبله مطلقا آدم وغيره، وفي كلام الشيخ الأكبر[2] قُدسَ سره الأطهر، تعبّدُه عليه الصلاة والسلام قبل نبوءته كان بشريعة إبراهيم عليه السلام حتى جاءه الوحي وجاءته الرسالة ولم يكن على ما كان عليه قومه باتفاق الأئمة وإجماع الأمة.

---

[1] هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري، من مشايخ الصوفية، لقي ذا النون المصري بمكة سنة خروجه إلى الحج، توفي سنة 283 أو 273 هـ كما ورد في الرسالة القشيرية، ج 1 ، ص: 92.

[2] يقصد ابن عربي الحاتمي الأندلسي المعروف بمحيي الدين الملقب بالشيخ الأكبر، من أئمة التصوف الفلسفي، ولد بمرسية بالأندلس وانتقل إلى اشبيلية، وقام برحلة إلى المشرق فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، استقر بدمشق وتوفي بها، له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها كتابه "الفتوحات المكية" في 10 مجلدات، و"محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار" و "فصوص الحكم" و" مفاتيح الغيب" و "التعريفات" و "عنقاء مغرب" وغيرها ، الأعلام، ج 6، ص: 281.

[كمال الولاية في اتباع الشريعة الإسلامية]

فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهـــم عنه فيلهـــم معاني القرآن و يكون من المحدثين (بفتح الدال)، ثم يصير إلى إرشاد الخلق.

قال جامعه -عفا الله عنه – ولا يمكن أن يصير إلى إرشاد الخلق حتى يعلم ما يرشدهم به وإليه، ولا يمكن أن يوصف بأنه كامل حتى يعلمها أيضا، وذلك لا يصح إلا أن يعلم الطرق الموصلة إلى الله كلها، ويكون عارفا بأصولها وقواعدها المبنية عليها الفروع ليكون كلما جاءه فرع علم منشأه من الأصل رده إليه ليعلم ما يصلح بصاحبه وما يصلحه، وإلا فهو ناقص بحسب ما خصه من ذلك، ولا يصفه بالكمال إلا من جهل الكمال من الرجال، إذ الكامل حقيقة هو النائب عنه صلى الله عليه وسلم، وذلك لا يكون إلا إذا كان نائبا عنه في جميع أحوال الأمة وأقوالها وأفعالها بعلمه ما عند أوليائها وعلمائها، واقتدائه بمن يقتدى به من رجالها، كما أنه صلى الله عليه وسلم كذلك مع الأنبياء، لأنه تعالى لما عد منهم ما عد وترك ذكر غيره لكونه في ضمن من ذكر، قال تعالى:﴿أولئك﴾، أي: الأنبياء المتقدم ذكرهم وغيرهم ممن هو في ضمنهم الذين هدى الله أو هداهم الله إلى الحق والنهج المستقيم، فبهداهم اقتده، أي: فاخصص هداهم بالاقتداء، ولا تقتد بغيرهم، والمراد بهداهم طريقهم في الإيمان بالله تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ، فإنها بعد النسخ لا تبقى هدى. واحتج العلماء بهذه الآية على أنه عليه السلام أفضل جميع

الأنبياء عليهم السلام، لأن خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم، فداوود وسليمان كانا من أصحاب الشكر على النعمة، وأيوب كان من أصحاب الصبر على البلية، ويوسف كان جامعا بينهما، وموسى كان صاحب المعجزات القاهرة، وزكرياء ويحيى وعيسى وإلياس كانوا أصحاب الزهد، وإسماعيل كان صاحب الصدق، فكل منهم قد غلب عليه خصلة معينة، فجمع الله كل خصلة في حبيبه عليه الصلاة والسلام، لأنه إذا كان مامورا بالاقتداء لم يقصر في التحصيل، وكذلك الولي الكامل حقا لا يكون له ذلك الكمال حتى يقتدي بالأولياء جميعا فيما كانوا فيه من الأوصاف والأذكار وأنواع العبادات حتى يصير نائبا عن الجميع نيابته صلى الله عليه وسلم على جميع الأنبياء، ويكون من وجده يستغني به كاستغناء من وجده صلى الله عليه وسلم، وذلك لا يكون حتى تكون عنده أورادهم وترد عليه وارداتهم، لأن كل ورد، بل كل اسم له خاصية، والأغلب فيه أن تكون له واردات أغلبية، وأما الاقتصار على ورد واحد مثلا أو خاصية واحدة لا تكون أبدا، وفي "التأويلات النجمية" أولئك الذين هداهم الله بصفاته إلى ذاته، فبهداهم اقتده، لأنهم سلكوا مسلكا غير مسلوك، حتى انتهى سير كل واحد منهم إلى منتهى قدر له، كما أخبرت أنك رأيت آدم في السماء الدنيا، ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة، وإدريس في السماء الرابعة، وهارون في السماء الخامسة، وموسى في السماء السادسة، وإبراهيم في السماء السابعة، فاقتد بهم حتى تسلك مسالكهم إلى أن تنتهي إلى سدرة المنتهى، وهو

منتهى مقام الملائكة المقربين، ثم يعرج بك إلى المحل الأدنى والمقام الأرفع حتى تخرج من نفسك وتدنو إليه به إلى أن تصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى مقاما لم يصل إليه أحد قبلك، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل؛ وهكذا الولي الكامل لابد وأن يقتدي بالأولياء اقتداء كائنا على المنهج النبوي قدما بقدم حتى ينتهي إلى سدرة منتهاهم من مقام لمقام كسماء بسماء إلى أن ينتهي إلى سدرة المنتهى التي هي البرزخية الكبرى التي ينتهي إليها سير الكمَّـل وأعمالهم وعلومهم، وهي نهاية المراتب الأسمائية التي لا تعلوها رتبة، ويعبرون بقاب قوسين[1] مقام القرب الأسمائي باعتبار التقابل بين الأسماء والأمر الإلهي المسمى دائرة الوجود، كالإبداء والإعادة والنزول والعروج والاتحاد بالحق مع بقاء التمييز، وبأدنى عن أحدية الجميع، أي عين الجمع الذاتية[2]، والجمع هو شهود الأشياء بالله، والتبري عن الحول والقوة إلا بالله، وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله، وهو المرتبة الأحدية[3]، فقوله: "الأدنى" ، هو ارتفاع التمييز والفناء المحض والطمس الكلي، فقاب قوسين بمنزلة النتيجة، إشارة إلى الوصول إلى عالم الصفات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿الله الصمد﴾، وقوله: ﴿أو أدنى﴾، إشارة إلى الوصول إلى عالم الذات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿الله أحد﴾ في سورة الإخلاص، وبين المحب والمحبوب سر لا يطلع عليه

---

[1] قاب قوسين، مصطلح صوفي يعبر "عن مناهي الترقيات وحال المصافات والمشاهدات والمكافحات والمشابهات مما تكل عن أدنى ذرة من ذراته العبارة وتخجل من أول بديهة من بدائهه الإشارة، ويقال أيضا قاب قوسين هو مقام القرب بالأسماء..." الإيضاح لبعض الاصطلاح، الشيخ ماء العينين ، ص 40.

[2] المصدر نفسه، ص: 48.

[3] المصدر نفسه، ص : 15.

غيرهما، إلا أن الولي إذا وصل لهذا المقام عرف به جميع المقامات وأحوال أهل البدايات والنهايات، فصار يصدر كل من ورد عليه بما يليق به مما لديه وما لديه مما لدى من جمع أمره عليه، وليست خزائن الله تنفذ بوهبه الذي نال أحد.

[الطرق كلها واحدة]

تنبيه: اعلم أن الحضرة الإلهية والواصلين إليها تمثل بمدينة كبيرة، بل بمكة خاصة، شرفها الله، تأتي إليها الناس من كل فج عميق، وفيها من حاجة كل أحد ما لا يوصف، وأهلها يعرفون كل أحد لكثرة ورود أهل الآفاق إليها بكل ما يوصف. ولو قدرنا أن شخصا سافر إليها حتى وصلها، وهذه المدينة من وصلها لا يبغي بها بدلا، ولا يهمه شيء إلا وجده بها، ولا يهمه خبر بلد إلا وأتاه من عنده من يعطيه له، ثم إن الشخص لما وصلها وسكن بها تخلق بأخلاق أهلها حتى صار يعرف أهل كل إقليم لكثرة ورودهم عليه وتميز كل أحد منهم عن غيره، فهل لأحد أن يمنع هذا الشخص بأن يقابل من ورد عليه من أهل إقليم بما يليق به أو يعامله بما يختص به أهل إقليمه؛ قال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾[1]، فكذلك الولي لأنه يسير أولا مع طريق واحدة، فإذا وصل إلى الحضرة الإلهية يصير يعرف كل من ورد عليه ويعرف ما يليق به مما لديه، وأهل السير منهم من يسير وعنده رواحل[2] كثيرة يركب على هذه مرة وعلى هذه مرة، ومنهم من تكون له راحلة

---

[1] - سورة العنكبوت، الآية : 43.

[2] - رواحل : جمع راحلة وهي سرج الجمل.

واحدة ويكون سيره عليها حتى يبلغ مرة كل مراده، فإذا وصل إلى المدينة ليس عليه إلا التفنن في أهلها ومن يرد عليهم، ولله المثل الأعلى، وانظر في قولهم فيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي في أنه كان متعبدا في الفروع بشرع من قبله مطلقا آدم وغيره، أو أن تعبده إنما كان بشريعة إبراهيم عليه السلام حتى بلغ الحضرة العلية، وجاءته الرسالة السنية، صار يفعل بالإذن الرباني في كل وارد عليه وصادر عنه بالوحي القرآني، وهكذا سيرة كُمّل أولياء أمته، فإن منهم من يتعبد بنمط واحد أولا، ومنهم من يتعبد بأنماط شتى، حتى إذا وصل إلى الحضرة الربانية انفك عنه حجر التقليد، أحب أم كره، غير التقييد النبوي الذي هو كالإطلاق السني لسعته وكثرة أبوابه وسعة كل باب منه على طلابه، مع أنه قلما تجد شخصا لم يتعبد بغير نمط واحد، بل لا يصح. وإذا كان الأمر كذلك، وكان كل شيء من التعبدات صادرا عن أفضل المخلوقات، صارت الطرق كلها طريقا واحدة، والقادر على أن تكون كلها عنده له مزية سابقة ولاحقة، ولا يمنع من ذلك إلا الجاهل بما هنالك، وأما من ليست له قدرة على ذلك، فليس عليه إلا ما يقدر، لقوله تعالى:﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾[1]، أي طاقتها، وهكذا في كل ما هنالك، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المبتوع بالحق وطريقته طريقة واحدة بالصدق، ولذلك قلت:

لذا تحققنْ بأن الطرقا — طريقة النبي وحده ثقا

وغيرها ليس طريقا وثق — إني مخاو لجميع الطرق

---

[1] سورة البقرة، آية 286.

أعني أنك لأجل ما تقدم تحقق أيها السامع أن طرق الأولياء كلهم وإن تعددت، إنما هي طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، وإنك تتوثق بذلك، أي تتيقن به، لأنه حق، وأما غيرها، أي غير طريق النبي صلى الله عليه وسلم فإنه ليس بطريق، لنسخ طريقه لكل الطرق، وإنك تتوثق أيضا بأني أيها العبد الفقير الحقير ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين غفر الله لهم وللمسلمين آمين مخاو لجميع الطرق، أي طرق الأولياء، ولا أعتقد تفرقة بينهم، أي الأولياء، لأنهم كلهم آخذون لطريقته صلى الله عليه وسلم، وهي طريقة واحدة كما يعلمه أغبى الأغبياء، وأحرى أعلم العلماء، مغ أني أعلم أن بعض من لم يكن متمكنا من هذا الذوق ربما استغربه أو ما استعذبه، وأما من له تمكن من شهود النبي صلى الله عليه وسلم واتحاد طريقته، فإنه بحول الله وقوته لا يستغربه، بل يستعذبه ويشكر ربه إذ وجد من فتح له ما كان مغلقا عليه أو ليس بمغلق، ولكنه ما كان قادرا على قوله، وليس هذا الذي قلت إلا كما قال الشعراني – رضي الله عنه - في ميزانه، ومن استغرب شيئا من هذا أو صعب عليه فهمه فلينظر ذلك وما جاء به علمه، ولا أظن هذا يعظم إلا على مثل من قال فيهم تعالى: ﴿كبر على المشركين﴾[1]، أي عظم وشق عليهم ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد ورفض الأصنام ؛ واستبعدوه حيث قالوا:﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾[2]،وقال قتادة[3]:

---

[1] سورة الشورى، آية 13.

[2] سورة ص، آية 5.

[3] قتادة : هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، مفسر حافظ ضرير أكمه. كان مع علمه بالحديث رأسا في العربية وأيام العرب والنسب، وكان يرى القدر. مات بواسط في الطاعون، الأعلام . الزركلي ، ج 5 ، ص: 189.

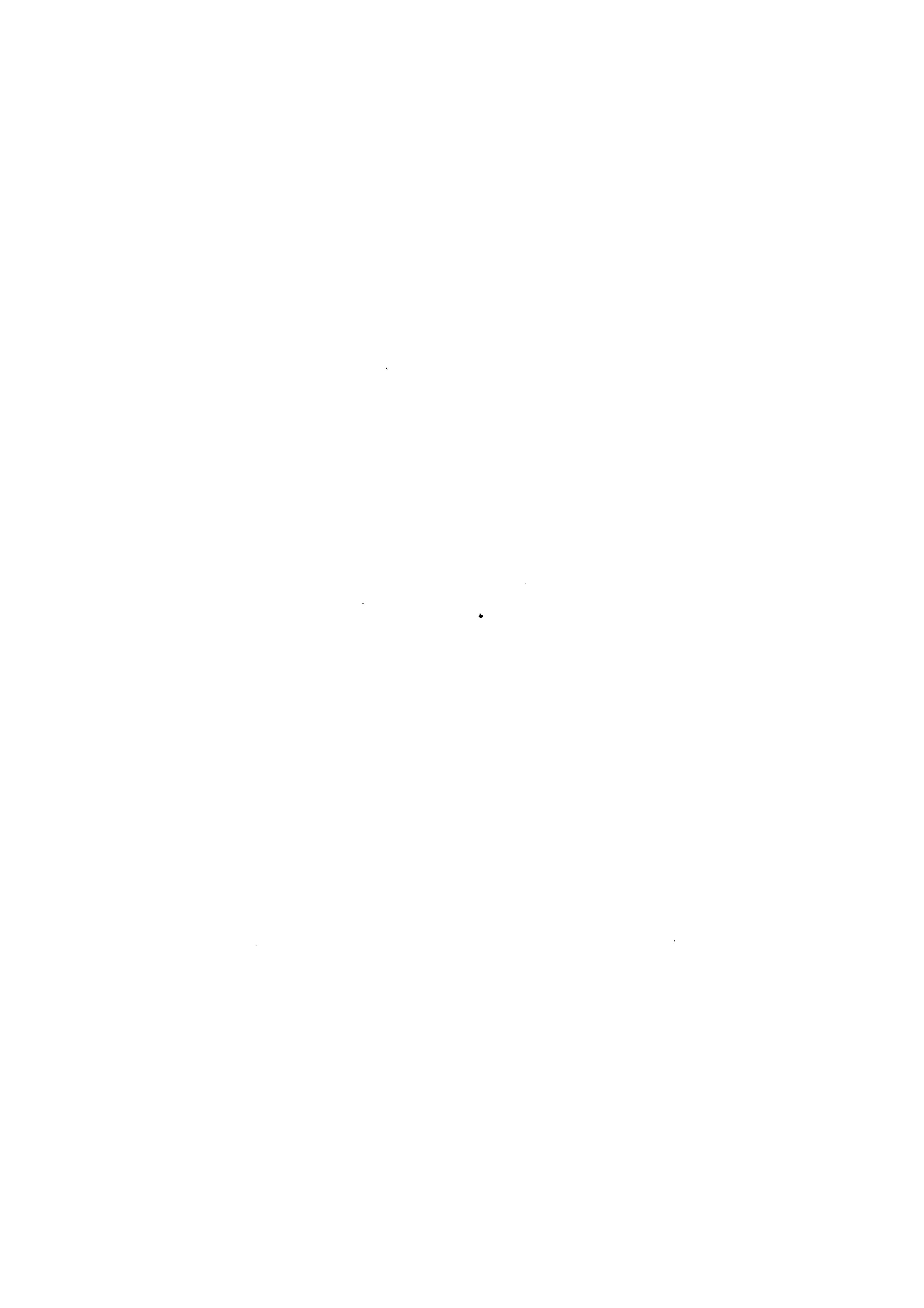
شهادة أن لا إله إلا الله وحده ضاق بها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن يظهرها على من ناواها، أي عاداها.

وإني أستغفر الله مما ليس موافقا للحق، وأسأله أن ينصرني وأقوالي وأفعالي بموافقة الحق واتباعي للحق والإخلاص بالصدق.

وليكن هذا آخر هذه العجالة خاتما لها بالصلاة والسلام على أفضل العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ووافق الفراغ منه آذان عصر الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة عام ستة وثلاثمائة وألف، أرانا الله خيره وخير ما بعده، ووقانا ضيره وضير ما بعده.

-2-

المداوي للمتعرض لــلفظة مخاوي



بسم الله الرحمن الرحيم

مبارك الابتداء ميمون الانتهاء

الحمد لله الذي تفضل على كل أمة بلسانها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضلها ببيانها، وبعد فإني أيها العبد الفقير المرتجي عفو ربه القدير، لأني ذو تقصير، ماء العينين بن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين، غفر الله لهم وللمسلمين آمين. بلغني أن بعض من ينسب للعلم أنكر قولي في قصيدتي التي وضعت في تبيين أن طرق أهل الله طريق واحدة "إني مخاو"، قاصدا باللفظة مؤاخ، لكن عدلت عن مؤاخ إلى مخاو لظهورها عند العام والخاص، لأن المراد التبيين لهما، فقلت للذي بلغني أن ما قاله حق، ولكن سبحان الله، ومن أين ينكر أن قولي ليس بحق، وقد قال صاحب القاموس[1]: "واللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2]". وقال شارحه تاج العروس[3]، وقال غيره: هو الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل. وقال صاحب لسان العرب[4]: "واللغة اللّسْنُ، وحدُّها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فُعْلَة من لغوتُ أو تكلمتُ أصلها لغوة[5]. قوله اللّسْن بالكسر، الكلام، وأيضا اللغة، وحكى أبو عمرو، لكل قوم لسن يتكلمون بها، أي لغة.

---

[1] - يقصد القاموس المحيط الفيروز ابادي المتوفى سنة 817 هـ 1415م. و قد طبع هذا المعجم في أربعة أجزاء أكثر من مرة، الأعلام 7/ 1464.

[2] - القاموس المحيط (لغو)

[3] - يقصد كتاب تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي المتوفى 1205 هـ - 1780/ الأعلام الزركلي 70/7.

[4] - يقصد ابن منظور صاحب لسان العرب المتوفى سنة 711هـ / 1311م

[5] - لسان العرب ، (لغا)

وأنا إنما تكلمت لقومي بما يعرفونه من لسانهم لأني إن قلت لهم مؤاخ يقولون ما معنى مؤاخ؟ فأقول لهم: مخاو؛ وان قلت مخاو لا يسأل عنها أحد منهم؛ فاخترت ما لا يسأل عنه عما يسأل عنه؛ هذا على القول بان اللغة توقيفية؛ وأما على أنها اصطلاحية، فلمن شاء أن يصطلح على ما شاء، كما قال سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي[1] في مراقي السعود[2] :

واللغة الرب لها قد وضعا وعزوها للاصطلاح سمعا[3]

يعني بالشطر الأول أن بعض العلماء قال إن اللغات عربية كانت أو غيرها واضعها [هو]الله تعالى، علمها عباده بالوحي إلى بعض الأنبياء، وهو آدم عليه السلام، وهذا مذهب الجمهور مستدلين بقوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[4]، أي: الألفاظ[5] ، يعني أسماء الأشياء، أي: المسميات؛ ويعني بالشطر الثاني أن بعض العلماء سمع عنه نسبتها للاصطلاح أي "اصطلاحية، أي وضعها البشر، واحدا كان أو أكثر، مستدلين بقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾[6]، فهي سابقة على البعثة

---

[1] - هو أبو محمد سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي من علماء ايداوعلي البارزين، تفرغ لطلب العلم أربعة عقود، ساح فيها بين البلاد، فقصد فاس، ثم انتقل إلى بلاد المشرق، ثم عاد إلى بلاده، وتوفي فيها سنة 1230هـ أو 1235هـ - 1820 أو 1815. له عدة تصانيف في الفقه الأصول منها، نشر البنود على مراقي السعود، هدى الأبرار على طلعة الأنوار، فيض الفتاح على نور الأقاح، وغيرها,. نشر البنود ص 5، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 2000 ، بلاد شنقيط المنارة و الرباط ، الخليل النحوي ص 513، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

[2] - مراقى السعود لمبتغي الزمني والصعود، أرجوزة في أطول الفقه شرحها سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي في كتابه ، نشر البنود على مراقى السعود.

[3] - نشر البنود على مراقى السعود، ص 88، مصدر سابق.

[4] - سورة البقرة ، الآية 31

[5] - نشر البنود ص: 88.

[6] - سورة إبراهيم الآية : 4.

ولو كانت توقيفيه، والتعليم بالوحي كما هو الظاهر"،[1] وقد عضد هذا القول الفخر الرازي[2] في تفسيره عند هذه الآية حتى قال: "فوجب حصولها بالاصطلاح[3]، ومن فوائد هذا الخلاف جواز قلب اللغة، كتسمية الثوب فرسا، فإن قلنا توقيفية امتنع، و إلا جاز، وينبني عليه أيضا لزوم الطلاق لمن قصده باسقنى الماء ونحوه، وكذا لزوم العتاق بذلك اللفظ ونحوه، وإليه أشار سيدي عبد الله[4] أيضا بقوله:

يبنى عليه القلب والطلاق باسقنى الشراب والعتاق[5]

وتوسيع اللغات على العباد من لطف الله تعالى على عباده ليعبر كل واحد عما في نفسه مما يحتاج إليه بما تيسر عليه من الألفاظ، ولذلك قال سيدي عبد الله أيضا ".

من لطـف ربـنا بنـا تعالى توسيعه فـي نطقنا المجـالا[6]،

ثم عرف اللغة بقوله في مراقي السعود أيضا:

وما من الألفاظ للمعنى وضعْ قل لغـة بالنقل يدري من سمع[7]،

قال في شرحه: "يعني أن اللغة هي الألفاظ الموضوعات للمعاني سواء كان اللفظ مفردا أو مركبا، والمراد بالمعنى ما عني باللفظ لفظا كان أو معنى"[8] إلى أن قال: "ويشمل قوله (وما من الألفاظ) العربية وغيرها،

---

[1] - نشر البنود ، ص : 88-89.
[2] - هو محمد بن أحمد بن الحسين أبو عبد الله فخر الدين الرازي المتوفى سنة 606 هـ/ 1404م له مؤلفات كثيرة من أشهرها مفاتيح الغيب في التفسير ، والمحصول في علم الأصول ، وغيرهما. الزركلي ، 6 ، ص : 313.
[3] - مفاتيح الغيب ج 1 ، ص: 453.
[4] - نشر البنود ، ص: 89.
[5] - نفيس المصدر، ص : 89.
[6] - المصدر نفسه ، ص : 85
[7] - المصدر نفسه، ص: 85.
[8] - المصدر نفسه، ص: 85.

وان كان الغالب انصراف إطلاق اللغة إلى العربية، ويشمل الحقيقة الشرعية والعرفية والكناية والمجاز، لأنه بوضع ثان"[1]، أي بعد وضع الحقيقة.

فبان لك أيها الأخ أن من قال مثل هذا من الألفاظ لا ينتقمه عليه إلا من ليس له باع في الكتب، ولو كان له باع في كتاب واحد أو اثنين مثلا.

ومما يدلك أيضا على ما قلت ويعضده أن لسان العرب هو أوسع اللسنة كما في المزهر للسيوطي وغيره، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فزادني، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[2]، معنى الحديث كما في الخازن،[3] لم أزل أطلب من جبريل أن يطلب من الله عز وجل الزيادة في الأحرف للتوسعة والتخفيف، ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى إلى السبعة[4]، وفي القسطلاني[5] أن القراءات السبع المعروفة اليوم حرف واحد، والسبب في هذا الحديث كما عند الترمذي، وعن أبي أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل إني بعثت إلى أمة أمية فيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام، قال فمرهم أن يقرءوا على سبعة أحرف[6]، وما ذلك إلا للتوسعة في الألفاظ

---

[1] - المصدر نفسه ، ص : 86

[2] - الجامع الصحيح، البخاري حديث رقم 3219، المكتبة السلفية، ط 1، 1400 هـ.

[3] - الخازن، هو أبو الحسن علي بن محمد إبراهيم بن عمر الشيحي، عرف بالخازن لأنه كان أمينا لمكتبة في دمشق، له مصنفات كثيرة من أبرزها تفسيره لباب التأويل، توفي بحلب سنة 741 هـ / 1341م. الاعلام، ج 5 ، ص: 5.

[4] - لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن 1 / 28.

[5] - القسطلاني ، هو أحمد بن عمر بن أبي بكر القسطلاني القتيبي الحصري، من علماء الحديث، له إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، طبع في عشرة أجزاء، توفي سنة 672هـ الأعلام 1 / 232.

[6] - سنن الترمذي ، ج 4، ص : 263.

للمعاني، وليفهم كل شخص من يخاطبه بالمباني، وانظر كتابنا المسمى "مفيد النساء والرجال في بيان بعض ما جاز من الإبدال"[1] تجد شفاء الغليل وإبراء العليل، والمزهر للسيوطي، لأنه في ذلك واحد بلا ثاني.

ومما يعضد لك تصحيح ما قلته ما اشتهر عند أهل الأصول في الاشتقاق، وهو صغير وكبير، ويتكلمون على الجميع، فانظر كلامهم تجد صحة ما قلت في الاشتقاق، قال سيدي عبد الله[2] بعد كلام طويل: "فالاشتقاق الكبير ما اجتمعت فيه الأصول دون الترتيب مع مناسبة معنوية بينهما كالجبذ والجذب[3]، وغير ذلك مما يطول بنا جلبه.

ومما يعضد ذلك أيضا كلام أهل النحو والتصريف في القلب الذي لا يجهله منهم إلا من لا باع له في ذلك الفن أو له ويتجاهل. قال شارح التسهيل[4] المساعد عند قول المصنف، فصل من وجوه الاعلال، القلب، والمراد به هنا جعل حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير، إلى آخر كلامهم تجد نحو مخاو و مواخ، لا ينكره إلا من لا خبرة له بكلامهم، وكلام التسهيل هو الذي نظمه ابن بون[5] وعقد له فصلا بقوله:

---

[1] - كتاب في النحو ألفه الشيخ ماء العينين سنة 1309هـ. طبع على الحجر بفاس بهامش كتاب "تبيين الغموض على نعت العروض" سنة 1320هـ في 56 صفحة.

[2] - يقصد سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي، وقد سبق التعريف به.

[3] - نشر البنود علمها مراقي السعود، ص: 93.

[4] - التسهيل: يقصد كتاب ابن مالك الطائي الجياني المتوفى سنة 672هـ "تسهيل" الفوائد وتكميل المقاصد ، وهو كتاب جليل في النحو، اعتبره العلماء مثل كتاب سيبويه. وقد اهتم به كبار النحويين اختصارا وشرحا، أمثال أبي حيان في كتبه "التكميل في شرح التسهيل" و "التخبيل الملخص من شرح التسهيل، و "التدييل والتكميل في شرح التسهيل"، ومحمد بن احمد بن قدامة الحنبلي (ت 744هـ)، وبدر الدين الحسين بن قاسم المرادي (ت 719هـ) وجمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام (ت 761هت)، وبهاء الدين عبد الرحمان ابن المقيل (ت 769هـ) وغيرهم، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د. المختار ولد اباه، ص 395 ، منشورات المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، 1996.

[5] - هو المختار ابن بونا الجكني، من علماء شنقيط المتميزين، له مؤلفات في العقيدة والمنطق والبلاغة والأصول والنحو، من اشهرها الوسيلة في العقيدة واحمرار الألفية وطرتها في النحو ، توفي سنة 1220 هـ / 1825 م. بلاد شنقيط المنارة والرباط ، ص: 530، مرجع سابق.

"القلب عندنا من الاعلال ، إلى أن قال:

وهـــو بتقديـم للاخـر علـى   متلوه أكثرُ منـــه فاعقلا

بسبق مُتْلوّ الأخير العين أو   عين على الفاء وربما أتـوا[1]

فلينظره من شاءه.

ومما يدلك على صحة ما قلته ويعضده قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[2] قال صاحب الخازن: بلسان قومه، "يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه، وهو قوله "ليبين لهم"، يعني ما يأتون وما يذرون".

فإن قلت: لم يُبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم، وإنما بعث إلى الناس جميعا، بدليل قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا﴾[3]، بل هو مبعوث إلى الثقلين الجن والإنس، وهم على ألسنة مختلفة ولغات شتى، وقوله "بلسان قومه"، وليس قومه سوى العرب، يقتضي بظاهره أنه مبعوث إلى العرب خاصة، فكيف يمكن الجمع؟ قلت: بُعث رسول صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب، ثم إنه يبعث الرسل إلى الأطراف فيترجمون لهم بألسنتهم ويدعونهم إلى الله تعالى بلغاتهم، وقيل يحتمل أنه أراد بقومه أهل بلده، وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوى، وقيل إن الرسول إذا أرسل بلسان قومه وكانت دعوته خاصة، وكان كتابه بلسان قومه، كان أقرب لفهمهم عنه، وقيام

---

[1] - تقريب طرة ابن بون على ألفية ابن مالك ، ج 2، ص : 708 ، نواكشوط 1427/2006,

[2] - سورة إبراهيم ، الآية 4

[3] - سورة الأعراف ، الآية 158.

الحجة عليهم في ذلك، فإذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج إلى ذلك ممن هو من غير أهله، وإذا كان الكتاب واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الأمم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهيم فوائده وغوامضه وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه.

وقوله ﴿فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾[1] ، يعني أن الرسول ليس عليه إلا التبليغ والتبيين، والله هو الهادي المضل، يفعل ما يشاء "وهو العزيز"، يعني الذي يَغلب ولا يُغلب، "الحكيم" في جميع أفعاله"[2]. وقال النسفي أي بلسان قومه أي "متكلما بلغتهم ليبين لهم ما هو مبعوث به وله، فلا يكون معهم حجة على الله، ولا يقولون له: لم نفهم ما خوطبنا[3] به"، وأورد سؤال الخازن المتقدم، وقال في جوابه: قلت لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي عن التطويل، فتعين أن ينزل بلسان واحد، وكان لسان قومه أولى بالتعبير، لأنهم أقرب إليه، ولأنه أبعد من التحريف والتبديل، فيضل الله من يشاء من آثر سبب الضلالة ويهدي من يشاء من آثر سبب الاهتداء، وهو العزيز فلا يغالب على مشيئته، الحكيم فلا يخذل إلا أهل الخذلان. وأهل التواليف كلهم أو أغلبهم إنما يقولون ما يفهمه أهل زمانهم وبلدهم، ونحن على آثارهم، ونرجو في الله أن نكون مهتدين. وانظر إلى كلام روح البيان الذي ملأ به

---

[1] سورة إبراهيم ، الآية 40

[2] - تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، الباب 3، ج 4 ، ص: 103.
مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن احمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي

[3] - تفسير النسفي، الباب الرابع، الجزء 2 ، ص 113.

مفسره من أوله إلى آخره مبينا به لقومه معاني كتاب الله تعالى بلسانهم ولم ينتقد عليه أحد في ذلك شيئا. وقال، أي صاحب روح البيان، في هذه الآية﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾، لفظ اللسان يستعمل فيما هو بمعنى العصر وبمعنى اللغة، والمراد هنا هو الثاني، أي بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم. ويدل عليه قوله تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾[1] ﴿والى ثمود أخاهم صالحا﴾[2]، ونحو ذلك، ولا ينتقض بلوط عليه السلام، فإنه تزوج منهم وسكن فيما بينهم، فحصل المقصود الذي هو معرفة قومه بلسانه وديانته.

وعمم المولى أبو السعود حيث قال إلا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغة من أرسل إليهم من الأمم المتفقة على لغة، سواء بعث فيهم أم لا، انتهى، ليبين كل رسول لهم، أي لقومه ما دعوا إليه وأمروا بقبوله، فيفهموا عنه بسهولة وسرعة، ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم، فإنهم أولى الناس بأن يدعوهم وأحق بأن ينذروهم، ولذلك أمر النبي عليه السلام بإنذار عشيرته أولا، ولقد بعث عليه السلام إلى الناس جميعا، بل إلى الثقلين، ولو نزل الله كتابه بألسنتهم مع اختلافها وكثرتها استقل ذلك بنوع من الإعجاز، لكن أدى إلى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق أيدي التحريف وإضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الألفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في إتعاب النفوس، وكذلك القرائح، فيه من القرب والطاعات المقتضية لجزيل الثواب، وأيضا لما جعله الله تعالى سيد الأنبياء وخيرهم وأشرفهم، وشريعته خير الشرائع وأشرفها،

---

[1] - سورة هود ، الآية: 50.
[2] - - سورة الأعراف، الآية : 73.

وأمته خير الأمم وأفضلهم؛ أراد أن يجمع أمته على كتاب واحد منزل بلسان هو سيد الألسنة وأشرفها وأفضلها إعطاء للأشرف الأشرف، وذلك هو اللسان العربي الذي هو لسان قومه ولسان أهل الجنة، فكان سائر الألسنة تابعا له، كما أن الناس تابع للعرب مع ما فيه من الغنى عن النزول بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، أي يبعث الرسل إلى الأطراف يدعونهم إلى الله ويترجمون لهم بألسنتهم، يقال ترجم لسانه إذا فسره بلسان آخر، ومنه الترجمان كما في الصحاح، قال في إنسان العيون[1]: "أما قول اليهود أو بعضهم وهم العيسوية، طائفة من اليهود أتباع عيسى الاصفهاني أنه عليه السلام إنما بعث للعرب خاصة دون بني إسرائيل، وأنه صادق بفاسد لأنهم إذا سلموا أنه رسول الله وانه صادق لا يكذب لزمهم التناقض، لأنه ثبت بالتواتر عنه أنه رسول الله لكل الناس، ثم قال و لا ينافيه قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾[2] ، لأنه لا يدل على اقتصار رسالته عليهم، بل على كونه متكلما بلغتهم ليفهموا عنه أولا، ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل الإفهام لغير أهل تلك اللغة من الأعاجم بالتراجم التي أرسلت إليهم، فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الكافة، وإن كان هو

---

[1] - إنسان العيون، السيرة الحلبية، الحلبي، ج 1 ، ص: 302، ط مصر 1875 .
[2] - سورة إبراهيم، الآية: 4.

وكتابه عربيين كما كان موسى وعيسى عليهما السلام مبعوثين إلى بني إسرائيل بكتابيهما العبراني، وهو التوراة؛ والسرياني وهو الإنجيل، مع أن من جملتهم جماعة لا يفهمون بالعبرانية ولا بالسريانية كالأروام، فإن لغتهم اليونانية اهـ"[1].

والحاصل أن الإرشاد لا يحصل إلا بمعرفة اللسان. حكي أن أربعة رجال، عجمي وعربي وتركي ورومي وجدوا في الطريق درهما، فاختلفوا فيه، ولم يفهم واحد منهم مراد الآخر، فسألهم رجل آخر يعرف الألسنة، فقال للعربي: أي شيء تريد؟ و"للعجمي": "جد منحوا وهي؟" وللتركي "إنه استرسين"؟ وعلم أن مراد الكل أن يأخذوا بذلك الدرهم عنبا ويأكلون، فأخذ هذا العارف الدرهم منهم واشترى لهم عنبا، فارتفع الخلاف من بينهم بسبب معرفة ذلك الرجل بألسنتهم.

وحكي أن بعض أهل الانكار ألحوا على بعض من المشايخ الأميين أن يعظ لهم باللسان العربي تعجيزا له وتفضيحا، فحزن لذلك، فرأى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بما التمسوا منه من الوعظ ، فأصبح متكلما بذلك اللسان وحقق القرآن بحقائق عجزوا عنها، وقال: أمسيت كرديا وأصبحت عربيا.

قال بعض الكبار: النظر يؤدي إلى معرفة الحق، وذلك بالانتقال من معلوم إلى أن ينتهي إلى الحق، وانظر يا أخي إن كنت تريد الحق واتباعه كتاب "الموافقات" للشاطبي في نوع بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للإفهام تجد مما قلته لك ما يغني جميع الأنام، وانظر في

---

[1] - إنسان العيون، ج1 ، ص: 302.

المسألة الرابعة إلى أن قال إن من شان العرب الاستغناء ببعض الألفاظ يرادفها أو يقاربها، ولا يعد ذلك اختلافا و لا اضطرابا إذا كان المقصود على استقامة. والكافي من ذلك نزول القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف.

وفي هذا المعنى من الأحاديث وكلام السلف العارفين بالقرآن كثير، وقد استمر أهل القراءات على أن يعملوا بالروايات التي صحت عندهم مما وافق المصحف، وأنهم في ذلك قارئون للقرآن من غير شك ولا إشكال، وان كان بين القراءتين ما يعده الناظر ببادئ الرأي اختلافا في المعنى، لأن معنى الكلام من أوله إلى آخره على استقامة، لا تفاوت فيه بحسب مقصود الخطاب"كمالك وملك"[1] ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾[2] ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾، إلى كثير من هذا، لأن جميع ذلك لا تفاوت فيه بحسب فهم ما أريد من الخطاب، وهذا كان عادة العرب، ألا ترى ما حكى ابن جني عن عيسى بن عمر، وحكى عن غيره أيضا قال: سمعت ذا الرمة ينشد:

وظاهر لها من يابس الشخت واستغني

أين الصبا واجعل يديك لها سترا

فقلت أنشدتني من بائس، فقال: يائس وبائس واحد، فأنت ترى ذا الرمة لم يعبأ بالاختلاف بين البؤس واليبس لما كان معنى البيت قائما على الوجهين وصوابا على كلتا الطريقتين، وعن أحمد بن يحيى قال أنشدني ابن الأعرابي:

---

[1] - في سورة الفاتحة ﴿مالك يوم الدين﴾ وفي قراءة أخرى ﴿ ملك يوم الدين﴾

[2] - سورة البقرة ، آية 9.

وموضع زير لا أريد مبيته كأني به من شدة الروع أنس

فقال له شيخ من أصحابه، ليس هكذا أنشدتنا "وموضع ضيق"، فقال سبحان الله! تصحبنا منذ كذا وكذا ولا تعلم أن الزير والضيق واحد، وقد جاءت أشعارهم على روايات مختلفة وبألفاظ متباينة يعلم من مجموعها أنهم ما كانوا يلتزمون لفظا واحدا على الخصوص بحيث يعد مرادفه أو مقاربه عيبا أو ضعفا في كلامه"، فينظره فيه من شاء.

واعلم يا أخي أن المناقشة في الألفاظ كما في نشر البنود[1] بعد فهم معناها ليست من شأن المحققين، وربما قالوا المحصلين أو الفضلاء بدل المحققين، بل شأنهم بيان محاملها الصحيحة ولا يشتغلون بذلك إلا على سبيل التبعية تدريبا للمتعلمين وإرشادا للطالبين، ولذلك لم يتعرض لهذه اللفظة أهل فاس[2] حفظهم الله من كل باس، مع استخبارهم في كل العلوم وتحققهم للمنطوق منها والمفهوم، وما ذلك إلا لمعرفتهم بمقصود القائلين حتى إنهم طبعوها بمطبعتهم للطالبين.

وليكن هذا آخر هذا الكلام على هذا المرام، وسميته بالمداوي للمتعرض للفظة مخاوي، والصلاة والسلام على أفضل من للمعالي حاوي محمد الذي يتشرف بالرواية عنه الراوي ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

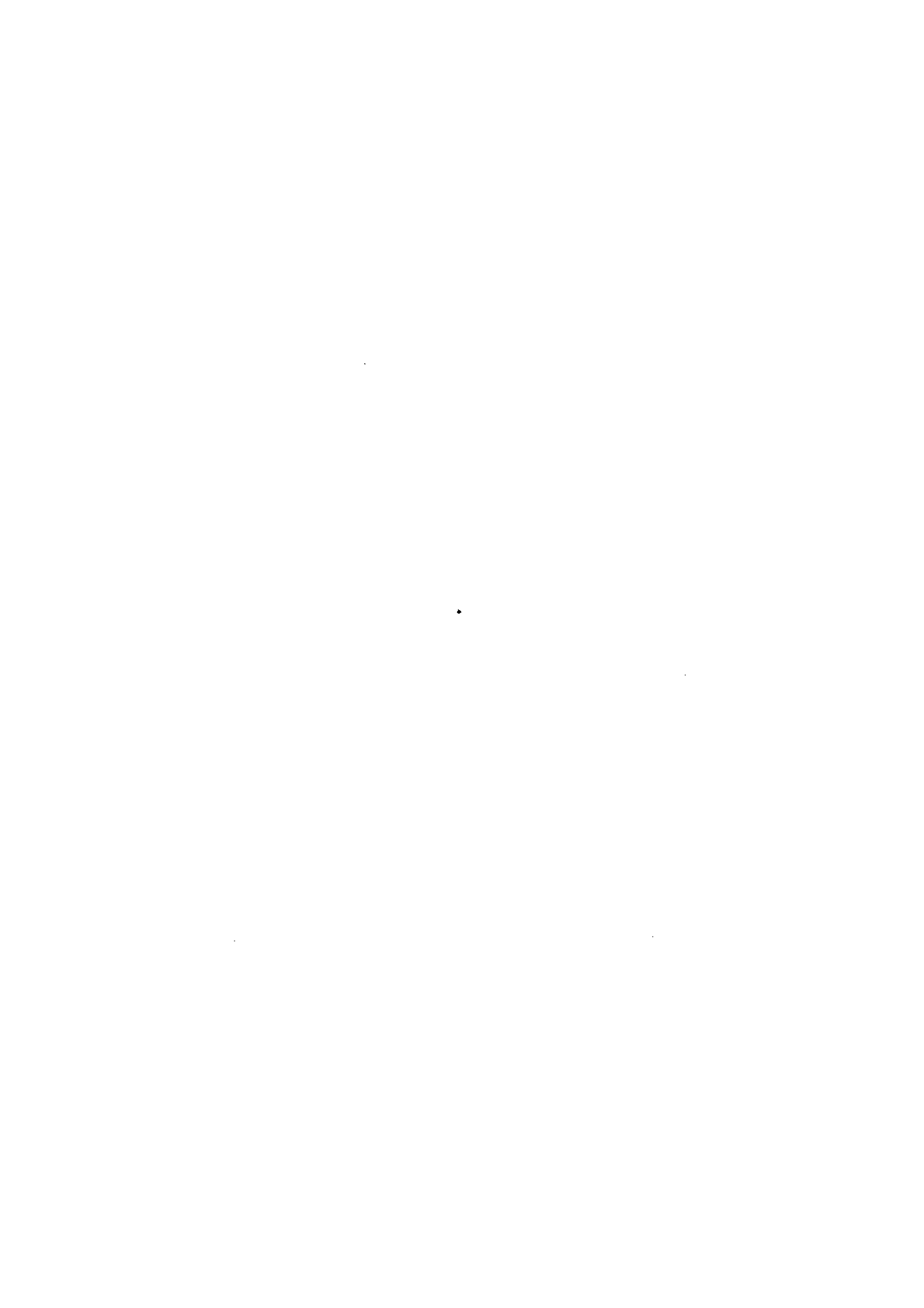
انتهى انتهاء ربيع الأول عام أحد عشر بعد ثلاثمائة وألف عرفنا الله خيره وخيرما بعده ووقانا ضيرهما، آمين.

---

[1] - نشر البنود على مراقي السعود ، سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم العلوي، مصدر سابق

[2] - يقصد محمد كنون الذي انتقد عليه استعمال كلمة مخاوي بدل مؤاخي.

مـــلاحــــق



نص النظم المشروح المسمى

"إني مخاو" للشيخ ماء العينين[1]

إني مخاو لجميع الطرق ... أخوة الإيمان عند المتقي

ولا افرق للأوليـاء ... كمن يفرق للأنبياء

قال تعالى المومنون إخوة ... وعدم التفريق فيه أسوة

لأفضل الخلق بعكس التفريق ... ففيه أسوة لكل زنديق

من اليهود والنصارى لُعنوا ... عند الذي بربه قد يؤمن

وانظر لمبدا طُرق والمنتهى ... تعلم لما قلت بما قد يشتهى

وذاك أن كلهم لك يقول ... عليك باتباع فعل ذا الرسول

عليه أفضل الصلاة والسلام ... وهكذا تتبع منه للكلام

ومستحيل أن يقول اتبعا ... منه لذا وذا له لا تتبعا

وذا الذي يقول ذا أشد من ... تفرقة الرّسُل فافهم يا فطن

لأن ذاك بين قوم فرقا ... ورام ذا تفريق شخص حققا

وهو عليه الله صلى أمرا ... بالذكر والتقى وإخلاص جرى

ولم يقل لك بذا الذكر اذكرا ... وذلك الذكر به لا تذكرا

ولو إليه كلهم قد رفعا ... طريقه ونورها قد سطعا

لكنه لم يرو أنه نهى ... عن غيرها، فخذ لحق قد بها

وانظر لما قد قاله الشعراني ... في ظاهر وهكذا يا فاني

بل باطن أشد إذ هو شهود ... تفرد اللّه بكل ما وجود

وذاك يستحيل بالتفرقة ... لذى الشريعة وفي الحقيقة

1-هذا النظم مثبت في آخر النسخة (أ) بخط الشيخ أحمد بن الشمس.

لــذا تحـقـّـقــنَّ أن الطـــرقـــا طــريـقـة النبـــي وحــده ثـقــا

وغيرها ليس طريقــا وثــــق إنـي مخـــاو لجميـع الــطـــرق

تقريظ أحمد بن عبد المولى العلمي اليملاحي للطبعة الحجرية الأولى لكتاب مفيد الراوي

حمدا لمن جعل المومن للمومن كالبنيان المرصوص، وحضه على الألفة والتحبب والتودد لنيل درجات الخصوص، سبحانه ما أرأفه بنا حيث نهج لنا طرقا شتى والمقصد واحد، وفتح أبواب الرشد والبر والفلاح للسالك والقاصد، وإن تنوعت الأسباب والظواهر واختلف حكم الباطن والظاهر، وتغايرت الأوراد والطرق، وتباينت النحل والفرق، فالكل موصل وواصل إليه، ودليل ومدلول بفعله عليه، وصلاة وسلاما تامين مؤبدين إلى يوم الدين على سيدنا ومولانا محمد إمام النبيئين والمرسلين ونخبة المتقين، وخير من وطئ الثرى من المخلوقين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان من الأئمة المرشدين.

أما بعد، فيقول العبيد الفقير الذليل المنكسر الحقير، أحمد بن عبد المولى العلمي اليملاحي منشئ هذه المطبعة الجديدة الزكية الميمونة المرونقة المثبوتة الفاسية، وخصوصا في ظل الملاذ الأفخم، ومطلع السعادة واليمن الأعظم، وبحر الحلم والجود الخضم، درة عقد الملوك على الإطلاق وتاج مفرق الأمراء في جميع الآفاق، أمير المومنين وخلاصة الأشراف المهتدين، المتحلي بكل وصف حسن، سيدنا ومولانا الحسن، لازال ممتطيا غارب النصر والظفر، وممسكا عنان القهر لمن طغى وبطر وكفر آمين يا رب العالمين.

هذا، وإن هذا المسطور العديم النظير، والمرقوم الجليل الخطير، المسمى بمفيد الراوي على أني مخاوي، تصديره للطبع وانتشاره في الحواضر والبوادي من النعم التي لا يحصى نفعها ولا يتفضل بها إلا مسبغ الأيادي، فما هو إلا مائدة السلوى وأنيس الخلوى والجلوى، ومطرب السالك والمجذوب، وفاكهة المحب والمحبوب، وقانون الجمع والفرق، ونبراس أسرار الغيب والشرق.

ألا فابتهج واستمنح البذل كي تفز　　بفهم مفيد الراوي كنــز المواهب

ولازمه ذوقا تبلغ القصـد والمنى　　ويغنيك عن جل الـورى بالمناقب

كتاب له الإحسان طـبعـا مهذبـا　　ومن حسنه يـزري بنور الكواكب

فجزى الله عنا بمنه مؤلفه القطب الكبير، والمرشد العارف الشهير أبا عبد الله سيدي محمد مصطفى، سليل أهل الصفا و الوفا، الملقب بماء العينين، المزيل عن القلوب الهم والرين، أفضل ما جازى به نصحاء الأمة الكاشفين كل غمة مدلهمة. وقد تم طبعه الفائق، وازدهى حسنه الرائق بتصحيح العالم العلامة الفقيه الدراكة، الفهامة، تحفة العصر ومفتى المص، المشارك في فنون شتى من غير حصر، فاتح أقفال رموز المشكلات، ومبين أسرار معاني النكت المعضلات، الشريف العمراني، سيدي المهدي الوزاني، أطال الله وجوده والنفع به آمين. في مهل جمادى الأولى عام عشرة وثلاثمائة وألف من هجرة المصطفى الأمين. وقد أرخته في نظم على ما سمحت به القريحة الجامدة والفكرة البليدة الخامدة، فقلت في منهوك الرجز مستقيلا ذوي الألباب من كل خطإ برز

واصل وصِلْ افراحنا　واطرب وروِّح روحنـا　واشد ومتع سمعنا

بصـوتـك الـمـرخـم

واجعـل حـديثا بيننا　سَـرْدَ مفيـد شيـخنـا　تصلـح ذات بيـننا

بـسـره الــمـعـظـم

نعم الكتاب المقتنـى　ومـن بـه نلـنا المـنـى　للحـق قـد أرشـدنـا

بـنـهـجـه الـمـُقـَـوّم

بـه استهـل أفـقنـا　للجمـع رد فـرقـنـا　ينجـز طـبعا شـوقـنا

بـفـرده الـمـرتـسـم

[تقريظ اليملاحي للطبعة الحجرية الثانية]

ويقول أيضا:

بسم الله الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

يقول ذوُ البضاعة المزجاة في جميع المناحي أحمد بن عبد المولى العلمي اليملاحي الحمد لله معيد نشأة الخلق على أحسن حال ومفيد راوي نظم الإخوة ما يداوي به علل الجهل في الأقوال والأفعال، والصلاة والسلام على إنسان عين الكون ومادة اتصاله، مولانا محمد منبع الأفضال ومفيض أسرار الحق على قلوب العارفين وعلى عترته وصحابته والآل.

وبعد، فقد من الله سبحانه بتجديد طبع هذا الكتاب المسمى بمفيد الراوي على نظم إني مخاوى على الهامش بالتأليف المسمى بالمداوي للمعترض للفظة أني مخاوي، وكلاهما من أبدع المصنفات وارفع المؤلفات، فلله در جامعهما الشيخ الكامل ذي التجليات والعرفان والكشف عن غوامض أسرار دقائق معاني العيان، شيخنا الشيخ ماء العينين نفعنا الله به في الدارين على يد مريده الأكبر وخليفته الأشهر، ذي الفتوحات والشيم الحسان ولين الجانب والتواضع والتخلق بمقام الإحسان، أخينا في الله وشيخنا أبي العباس سيد أحمد بن الشمس أبقاه الله مزيلا لكل إشكال ولبس، كلما تليت الآيات وصليت الخمس آمين، وبتصحيحه الفقيه العلامة الأجل المشارك المحقق الدراكة الأنبل أبي العباس السيد أحمد البوعزاوي، وقي في الدارين المساوي، في ظل من جدد الله به أثواب

المسرات وأحيا برؤية محياه رسوم المبرات، نخبة سلسلة الذهب الابريز أبي فارس وأبي رافع وأبي سلطان مولانا عبد العزيز أعز الله به الإسلام، وجعله في حماية جده عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، ولما تم طبعه المرونق السافر أرخته في خمسة أبيات من بحر الوافر:

مداويـــك المفـيد سما بطبع محاسنه تروق الناظــرينــا

لكل منهـما نفـع و دفــــع ويفقـهـه الكبـار المعتـنيـنـا

للأفـــق بـــدرا ذا ســنــاء بعـقـد أخـوة للمـومـنينـــا

وسعـيٌ في صلاحٍ واعتـنـاء ببـذل منـافـع للمســلمـينـا

بغرب طبعـه أرخ كشـــرق تنـظـم عقـــده درا ثـمـيـنـا

ويقول عبد الله بن محمد بن أحمد بن الأديب:

سفها طال ما جـرت بالمناوي منك عنان قد هوت بالمهــاوي

لا تلمها على البكـا لافتــراق لم يظنها بعد الفــراق تخــاوي

اكففا الدمع وانظـرا، ولتقــرا بتـــخــاو مــن المفيـد مــداوي

ذا مفيد الـراوي أتانا مـــخــاو لطريق الهدى جميعــا، وحاوي

أودع الشيخ فيــه حســن فتــاو وقديم للشيـخ حسـن الفــتــاوي

وجد الديـــن لا إليـه التـفـات صار يسعى كل إليـــه ويــاوي

كان مبنى على ابتداع اختلاف صار مبني على اختفاء المساوي

كان مبنى على ضعيف ظنون صار مبنى على اقتفاء المساوي

كان مبنــى على احتقـار وذل ولمبنـــاه الآن عـض المسـاوي

راح عنـا ورد الضـلال محلى حيــن أمســى وفد الحقيقة راوي

راح ثـوب الهدى لنا مسبطرا حين أمسى ثوب الجهالة طاوي

واختـلاف الجهول أصبح واه واتفــاق التحقيق أصبــح ثـاوي

يالقـومي ممن أراه أخــا لـــي فليخـاوي المـفيـد إنـــي مخاوي

فهارس



فهرس الأعلام البشرية

فهرس القبائل والأعلام الجغرافية

فهرس المصادر والمراجع

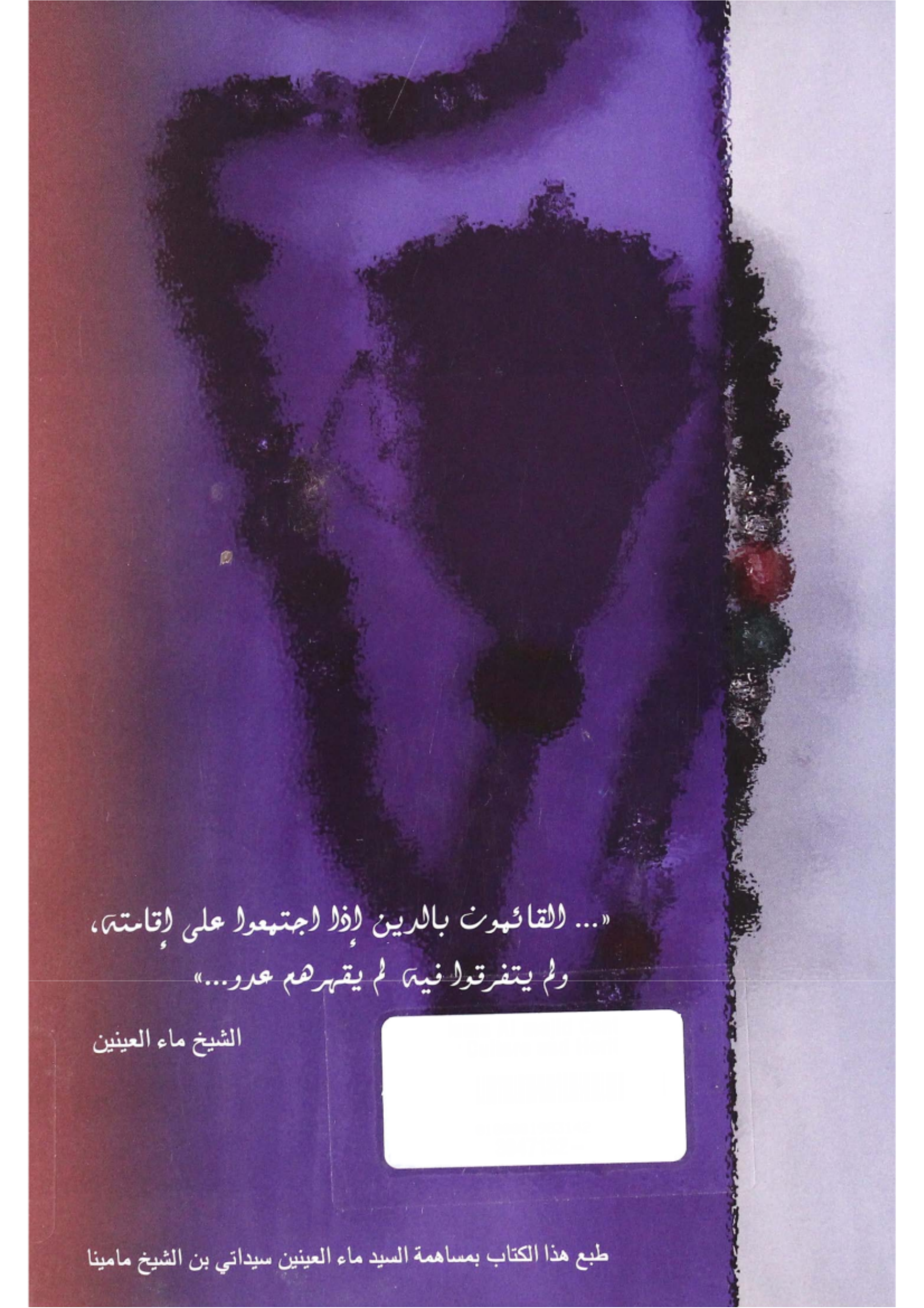
- القرآن الكريم، رواية ورش
- الأبحر المعينية في الأمداح المعينية، الشيخ محمد الغيث النعمة، الجزء الأول، تحقيق أحمد مفدي، مرقونة.
- إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- إظهار الطريق المشتهر على اسمع ولا تغترر، الشيخ ماء العينين، طبعة فاس الحرية 1321هـ.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين (د.ت)
- إنسان العيون، الحلبي، ط ، مصر ، 1875.
- الإيضاح لبعض الاصطلاح، الشيخ ماء العينين، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي ، ط 1، مطبعة بني يزناسن 2001
- بلاد شنقيط ، المنارة والرباط الخليل النحوي، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- تفسير أبن كثير، طبعة الشعب.
- تفسير الطبري، طبعة دار الفكر ، (ب.ت).
- تفسير القرطبي، دار الكتب، (د.ت)
- تقريب طرة ابن نون على ألفية ابن مالك، نواكشوط 2006.

- ثقافة الصحراء، الدكتور عباس الجراري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1978.
- الجامع الصحيح ، البخاري ، المكتبة السلفية ط 1 ، 1400هـ.
- الحركة الصوفية وأثرها في أدب الصحراء المغربية. محمد الظريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، الطبعة 1، 2002.
- الحياة الأدبية في زاوية الشيخ ماء العينين، محمد الظريف، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، الطبعة 1، مطبعة بني يزناسن 2003
- دليل الرفاق على شمس الاتفاق، الشيخ ماء العينين، تحقيق أحمد يكن البلعمشي، مطابع فضالة المحمدية 1982.
- الرحلة المعينية، ماء العينين بن العتيق، تحقيق محمد الظريف، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 1998.
- الرسالة القشيرية أبو القاسم عبد الكريم القشيري، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطبعة حسان، القاهرة 1974.
- روح البيان، إسماعيل حقي، مطبعة بولاق 1276 هـ.
- سحر البيان في شمائل شيخنا الشيخ ماء العينين الحسان، ماء العينين ابن العتيق، مخطوط خاص.
- سنن أبي داوود، الطبعة المرقمة (د.ت).
- سيف المجادل، الشيخ محمد فاضل، طبعة فاس الحجرية، ضمن مجموع

- شرح السنة للبغوي، طبعة المكتب الإسلامي (د.ت).
- صحيح البخاري، مطبعة دار إحياء التراث العربي (د.ت).
- ضوء أعلى الأسفار، عبد الله بن صلاح، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.
- طبقات الشافعية الكبرى، السبكي. ت محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه، ت. عبد المجيد الترحيني، دار الفكر العلمية بيروت ، ط 1 ، 1983.
- فاتق الرتق على راتق الفتق، الشيخ ماء العينين، مطبعة دار الفكر (د.ت).
- الفواكه، الشيخ محمد الغيث النعمة مخطوط بخزانة الشيخ المصطفى ابن الشيخ محمد الإمام بن الشيخ ماء العينين.
- قواعد التصوف، أبو العباس أحمد زروق، دار الجيل بيروت، ط 1 – 1992.
- مبصر المتشوف على منتخب التصوف، الشيخ ماء العينين، الطبعة الحجرية، فاس، 1304هـ.
- مستدرك الحاكم تصوير بيروت، د.ت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تحقيق فلوجيل.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، دار الفكر 1979.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت (د.ت).

- لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني، طبعة مصورة 1981 هـ .
- مجمع الزوائد للهيثمي، طبعة القرشي (د.ت).
- المحاضرات، أبو الحسن اليوسي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1396 – 1976.
- مستدرك الحاكم، تصوير بيروت (د.ت).
- مسند الإمام أحمد. ط الميمينة، مصر، (د.ت).
- مفيد الحاضرة والبادية، الشيخ ماء العينين، المطبعة الحجرية فاس 1310هـ.
- المقاصد النورانية، الشيخ ماء العينين، الطبعة الحجرية فاس 1310هـ .
- الميزان الكبرى، الشعراني، المطبعة الأزهرية، ط 4 1932.
- نشر البنود على مراقي السعود، سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي
- نعت البدايات وتوصيف النهايات، الشيخ ماء العينين. طبعة دار الفكر، (د.ت).
- هداية من حارا في أمر النصارى، الشيخ ماء العينين، تحقيق ذ. ماء العينين مربيه ربه، منشورات مؤسسة الشيخ مربيه ربه لإحياء التراث والتبادل الثقافي، الطبعة 1، المعارف الجديدة، 1998 الرباط.
- الوسيط في تراجم أدباء شنجيط، أحمد بن الأمين الشنجيطي، مطبعة المدني، ط 4، القاهرة 1989

فهرس المحتويات


«... القائمون بالدين إذا اجتمعوا على إقامته،
ولم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو...»
الشيخ ماء العينين
طبع هذا الكتاب بمساهمة السيد ماء العينين سيداتي بن الشيخ مامينا